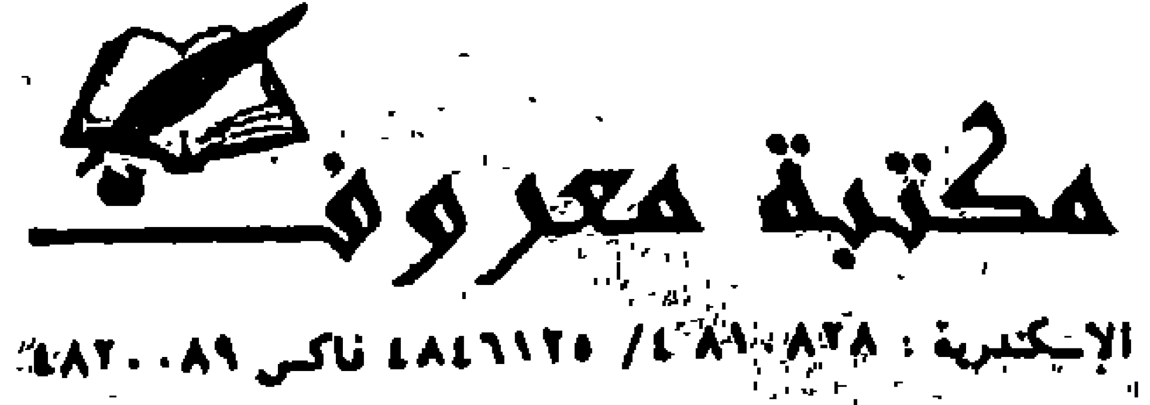
غادة الكاميليا



سلسلة روائع الأدب العالمى

غادة الكاميليا

الكسندر ديماس (الابن)



الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨/ ٤٨٤٦١١٢٥ فاكس ٤٨٢٠٠٨٩
القاهرة : ٢٦١١٢٢٩ ص ب ٣٧٠ الإسكندرية

شخصيات القصة

مرجريت جوتييه .... بطلة القصة

أرمان ديفال ....حبيب مرجريت

نانين .... خادمة مرجريت

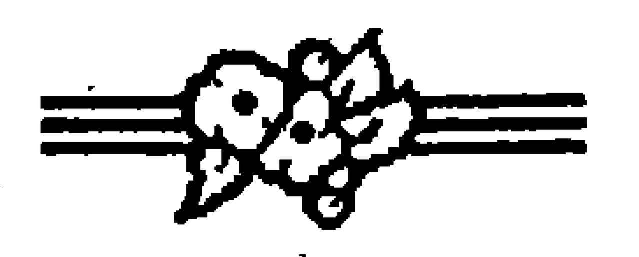
الدوق .... ثرى عجوز يتقرب إلى مرجريت لأنها شبيهة بابنته

برودنس .... صديقة مرجريت

جاستون .... صديق أرمان ديفال

الكونت .... ثرى صديق لمرجريت يمدها بالمال

أولمبيا .... عشيقة أرمان ديفال وصديقة مرجريت جوتييه



مرجريت جوتييه

ما أعجب هذه الحياة إن ما يحدث فيها من قصص واقعية يفوق في كثير من الأحيان ما تجود به قرائح الكتاب أمثالي ، وقد ساقتني الصدفة البحتة لتسجيل هذه القصة الحقيقية التي قصها بطلها على مسامعي وتحققت من صدقها لدى العديد من الشهود .

كانت البداية عندما لمحت إعلاناً عن بيع بعض الأثاث الثمين بالمزاد في المنزل الذي يقع في شارع دانتان ، وسوف يبدأ المزاد في اليوم السادس عشر من الشهر وعلى من يريد المعاينة الذهاب إلى المنزل قبل يومين من المزاد .

وقد دفعني عشقي للأثاث الثمين والتحف النادرة للذهاب إلى المنزل المذكور في شارع " دانتان " حيث وجدت هناك عددا كبيرا من الذين جاءوا مثلي للمعاينة ، ولاحظت مدى ما ينطبع على وجوههم من علامات الدهشة والتعجب وهم ينظرون إلى الأثاث الثمين ، وأدركت سر ذلك عندما علمت من هي صاحبة هذا المنزل .

فقد كان المنزل لواحدة من أشهر غانيات باريس التي عاشت في رعاية العديد من النبلاء و الأغنياء فلا عجب إذن أن تسعى نساء الطبقة

الراقية الى بيت تلك الغانية الراحلة بدافع الفضول لمشاهدة منزل تلك التى استأثرت بقلوب العديد من الرجال أصحاب الشأن والمنزلة الرفيعة ، كما كانت فتنة الغانية الراحلة وسحرها يثيران غيرة النساء ويدفعهن إلى البحث عن سر فتنتها وجمالها.

ورحت أجوب غرف المنزل وأتأمل الأثاث الثمين والرياش الفاخر والستائر الغالية والتحف النادرة التى تختلف فى أنواقها كثيرا مما يدل على أنها جمعت بواسطة عدد من العشاق ثم دلفت إلى حجرة ثيابها وزينتها حيث رأيت أدوات الزينة الثمينة المصنوعة من الذهب والفضة .

ووجدتنى رغما عنى أفكر فى تلك الغانية التعسة التى اختارها الموت فى عنفوان الشباب مما جنبها مذلة الحياة حين يتقدم بها العمر وتحرم من نعمة الجمال والشباب وينصرف عنها الجميع ولا تجدحولها إلا الحسرة والندم والعدم .

أخذت أتأمل أدوات الزينة فترة طويلة دون أن أشعر بمرور الوقت ، ولعل ذلك أثار ريبة الحارس خاصة بعد أن انصرف الجميع وأصبحت وحدى فى الغرفة وانتبهت فجأة ونظرت إلى الحارس فلمحت فى عينيه نظرات الشك والريبة فاقتربت منه وسألته :

– هل يمكن أن أعرف اسم صاحبة هذا المنزل ؟

إنه بيت الآنسة " مرجريت جوتييه "

وبالطبع كنت قد شاهدتها مرارا فهتفت :

– ماذا ؟ هل ماتت مرجريت جوتييه ؟

- نعم .. لقد ماتت منذ ثلاثة أسابيع

- ولماذا تعرض مقتنياتها للبيع فى المزاد ؟

- حتى يستوفى الدائنون حقوقهم !

- وهل كانت مدينة ؟

- نعم كانت مدينة بمبالغ طائلة .

وحييت الرجل ثم انصرفت وأنا أفكر فى هذه الفتاة الرائعة الجمال التى ماتت وهى فى عنفوان شبابها وشعرت ببعض الشفقة عليها .. فرغم كونها غانية إلا أن ذلك لم يمنعنى من العطف عليها .. وتذكرت يوما رأيت فيه شرطيين يقودان فتاة عنوة إلى قسم الشرطة بينما كانت تبكى بكاء مريرا وتقبل طفلة صغيرة قبل أن تفترق عنها وأدركت أن إثمها لم يمنعها من التمتع بقلب يحمل أسمى المشاعر وهى مشاعر الأمومة .



ورحت أفكر فى مرجريت جوتييه التى لم أعلم بنبأ موتها لأننى كنت فى رحلة طويلة خلال تلك الفترة ولم يذكر لى أحد من الأصدقاء هذا النبأ ، وبالإضافة الى ذلك فمن ذا الذى يحفل بواحدة من تلك الطبقة ويذكر أخبارها أو يذرف دمعة عليها ؟.

ولكننى شعرت بشىء من العطف والشفقة عليها وتذكرت ما كانت تتميز به عن سائر نساء طبقتها من رقة وجمال ووجه يفيض بالعذوبة والجمال والبراءة كما كان مظهرها يحمل الكثير من معانى النبل والتواضع .

فقد شدت مرجريت عن كل نساء تلك الطبقة اللائى كن يحرصن على اصطحاب أى شخص معهن خلال النزهات الليلية ، كما كن يحرصن على جذب أنظار المارة ولفت انتباههم وإبراز مفاتنهن بشتى الوسائل ، أما هى فقد كانت تقبع فى أحد أركان مركبتها بعيدا عن الأنظار ، وفى الشتاء كانت ترتدى معطفا كبيرا لا يظهر شيئا من مفاتنها أما فى الصيف فقد كانت ترتدى ثيابا بسيطة لا تلفت إليها الأنظار ، كما كان سلوكها تجاه أصدقائها يدل على الاحترام حيث كانت تبادلهم الابتسام كأى امرأة شريفة ولم تكن مثل غيرها تتلكأ بمركبتها فى ميدان الشانزاليزيه بل تتجه رأسا إلى الغابة حيث تمشى بين الأشجار قليلا ثم تعود إلى بيتها بسرعة ولا أنسى جمالها المميز وأناقتها الفريدة وما اشتهرت به من عادات لم تتخل عنها يوما ، مثل حضور العرض الأول فى كل المسارح ومعها منظارها المكبر وبعض الحلوى وباقة من زهور الكاميليا التى كانت تعشقها حتى عرفت باسم غادة الكاميليا

وكنت قد علمت عنها بعض الأشياء خلال الفترة السابقة ومنها أنها قد أصيبت بالتهاب فى الرئة ونصحها الأطباء بالذهاب الى منتجع " بانير " للاستشفاء وهناك كانت توجد فتاة شديدة الشبه بمرجريت وهى ابنة دوق متقدم فى السن كانت مريضة بالسل فى المراحل الأخيرة وقد توفيت بعد قليل .

واستمر الدوق العجوز مقيما فى بانير بضعة أيام بعد رحيل ابنته حتى رأى مرجريت مصادفة ودهش للشبه الشديد بينها وبين ابنته ، فأسرع إليها وقبلها وهو يبكى ويرجوها أن تسمح له بزيارتها كابنته ، فوافقت مرجريت .

وبالطبع كان هناك الكثيرون من أهل " بانير " الذين يعرفون حقيقة مرجريت فأخبروا الدوق بالحقيقة الأليمة ، وكانت صدمة شديدة شوهت صورة الفتاة التى أحبها من قلبه وجعلها فى منزلة ابنته .

ولكن هيهات أن يتمكن الدوق العجوز من فراق مرجريت التى تغلغلت فى قلبه وصار نسيانها مستحيلا بعد أن أصبحت شيئا ضروريا لحياته .

كان يعلم جيدا أنه لاحق له فى عتابها ولكنه عرض عليها أن تترك حياة اللهو والاستهتار وتعيش حياة هادئة كريمة بعيدة عن مهاوى الإثم والرذيلة ، فوافقت مرجريت التى كانت تعانى من وطأة المرض ، ولم تكن عندها رغبة فى اللهو والعبث فى هذه الأثناء .

وبعد فترة فى بانير عادت إلى باريس بعد أن استردت عافيتها وعاد جمالها أكثر تألقا وأشرق وجهها بنضارة الحياة وكان الدوق يرافقها ويحرص على زيارتها كل يوم مما جعل الناس يسيئون فهم هذه العلاقة ويتهمون الدوق بالفجر والفسوق ولم يعلم أحد حقيقة تلك العلاقة النبيلة .

وفى باريس لم تستطع مرجريت مقاومة أضواء الحياة ومغرياتها بالإضافة إلى المرض الكامن فى رئتها والذى كان يدفعها إلى الاستمتاع بكل لحظة تعيشها ، فعادت إلى سيرتها الأولى وعلم الدوق بذلك وعلم أنها تستقبل أصدقاءها فى منزلها بعد انصرافه وعندما واجهها بتلك الحقائق لم تنكر منها شيئا وطلبت منه أن يتركها وشأنها لأنها لن تستطيع الابتعاد عن تلك الحياة وأن عليه أن يوفر ما يعطيه إياها من أموال لأنها لم تعد تستحقها بعد أن حنثت بوعدها .. انقضى أسبوع واحد وابتعد فيه الدوق عن مرجريت ولكنه عاد فى نهايته إلى مرجريت بعد أن خارت عزيمته ولم

يتمكن من الابتعاد عنها وتوسل إليها أن تسمح لـه بزيارتها دون أن يزعجها أو يتدخل فى شئونها .

★ ★ ★

وفى اليوم المحدد للمزاد ذهبت إلى منزل غادة الكاميليا " حيث وجدته مزدحما بالناس ، وأكثرهم من الطبقة الراقية كما كان بينهم الكثيرات من الغانيات .

ورحت أتأمل هذا الخليط العجيب من النساء والرجال ذوى الشأن والجاه فى المجتمع وسمعت كلمات كثيرة هنا وهناك لم تكن من بينها كلمة واحدة عن مرجريت !

ودهشت كثيرا للأثمان الباهظة التى بيعت بها قطع الأثاث وأدوات الزينة والحلى والتحف وغيرها من ممتلكات الغانية الراحلة ، بل إنها بيعت بسرعة مدهشة .

وأنتبهت على صوت الدلاَّل ينادى :

- والآن نسخة من رواية " مانون ليسكو " وتوجد فى الصفحة الأولى بضع كلمات فقال أحدهم .

- اثنا عشر فرنكا

فوجدت نفسى أقول :

- خمسة عشر فرنكا !

وربما كانت الكلمات التى فى صفحتها الأولى هى التى دفعتنى إلى

المزايدة عليها ولكن الرجل عاد ، قال بلهجة التحدى

- ثلاثون فرنكا

- فقلت : أربعون

- خمسون

- ستون

- سبعون

- وهنا قلت بحماس

- مائة فرنك !

وهنا أدرك منافسى أننى أعتزم الحصول على الرواية بأى ثمن فأحنى قامته بأدب وانسحب من المنافسة وهكذا حصلت على الرواية بهذا الثمن الباهظ ولذلك قررت الانسحاب بعد أن تركت عنوانى للدلال حتى يرسل الرواية .

وبعد ساعتين كنت أتصفح الرواية وفي الصفحة الأولى قرأت الإهداء التالى مكتوبا بخط أنيق:

" مانون ليسكو تقدم خضوعها لمرجريت "

أرمان ديفال

ورحت أتساءل :

ما الذى يعنيه أرمان ديفال هذا بكلمة خضوعها ؟ هل يعنى أن مرجريت تفوق مانون فى عبثها ولهوها ؟ أم أنها تفوقها فى نبل عواطفها

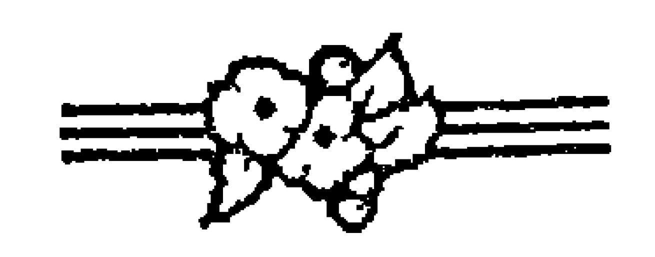
وشدة حساسيتها ؟ لا أظن أنه يقصد المعنى الأول الذى يحمل معنى الإهانة والاحتقار .

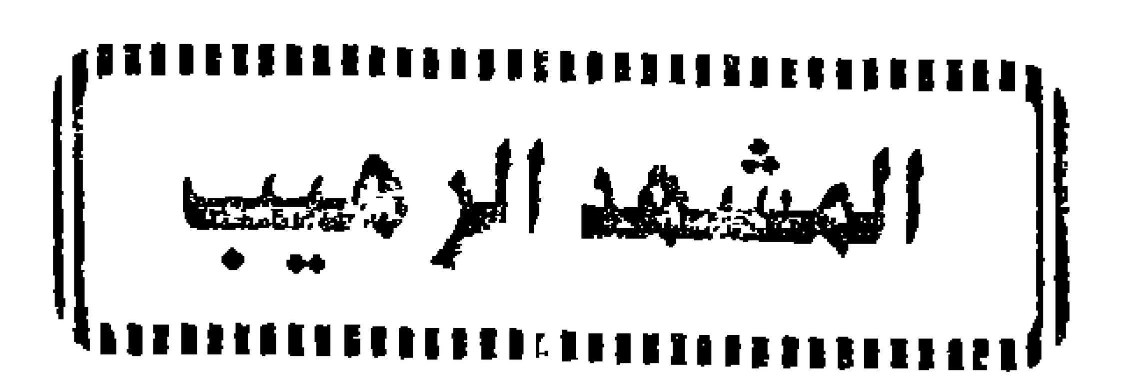
وخلال الأيام التالية أعدت قراءة مانون ليسكو التى ألفها الأب بريفو وشعرت بالعطف على مصير تلك المرأة التى تشبه نهايتها نهاية مرجريت جوتييه .

مانون ليسكو هى فتاة حسناء تعشق الترف والنعيم وقد وقعت فى غرام الشيفالييه " دى جابو " الفقير، وقد وقع أحد النبلاء فى غرام مانون التى راحت هى وحبيبها يبتزان أمواله ، وعند ما علم الرجل بما يقوم به العاشقان قام بنفى مانون إلى أمريكا حيث كان يتم إرسال البغايا إلى هناك فى ذلك الوقت ، وهناك ماتت مانون فى الصحراء بين يدى حبيبها الذى حفر قبرها بيديه .

وتذكرت نهاية مرجريت التى ماتت فى غرفتها وحيدة دون أن تسمع كلمة عطف من أحد خلال شهرين قضتهما فى فراشها .

وبعد يومين تم بيع كل ما كانت تمتلكه مرجريت وتم تحصيل مبلغ مائة وخمسين ألف فرنك حصل الدائنون على مائة ألف منها وصارت الخمسون ألفا الباقية حقا لأختها وهى وريثتها الشرعية الوحيدة والتى كانت تعيش فى الريف ولم تسمع شيئا عن أختها مارجريت ، فقد غادرت مرجريت منزلها منذ سبعة أعوام وانقطعت أخبارها ولذلك فقد كانت دهشة الأخت عظيمة حينما استدعوها إلى باريس لتحصل على المبلغ الجسيم الذى تبقى من تركة مرجريت الراحلة .





المشهد الرهيب

ومرت عدة أيام نسيت خلالها مرجريت جوتييه حتى جاءنى زائر دون سابق موعد ليعيد إلىَّ ذكرى مرجريت ويدفعنى إلى كتابة قصتها المؤلمة كاملة .

فقد سمعت طرقا على الباب فى صباح أحد الأيام، وبعد قليل دخل خادمى ومعه بطاقة شخص يرغب فى مقابلتى ، فنظرت إلى البطاقة فوجدت فيها اسم أرمان ديفال .

أخذت أحاول تذكر هذا الاسم .. وأخيرا تذكرت فقد كان هو صاحب الإهداء على قصة " مانون ليسكو " .. ترى ماذا يريد صديق مرجريت ؟

وبعد لحظات دخل أرمان كان شابا طويل القامة أشقر .. شديدالشحوب ، يبدو أنه وصل لساعته من سفر طويل حيث كان يعلوه غبار كثيف ، قال والدموع تنساب من عينيه :

– إننى شديد الأسف يا سيدى على تلك الزيارة دون موعد سابق ، فقد كان كل همى هو أن الحق بك قبل أن تغادر البيت ، ولقد عدت من السفر منذ قليل ولم أذهب إلى الفندق لإبدال ثيابى حتى لا أضيع دقيقة واحدة .

وجلس ينتفض من الحزن وأخذ يجفف عينيه بمنديله ثم قال :

– لقد قتلنى الحزن يا سيدى ، وقد جئت أطلب منك معروفا لن أنساه أبدا!.

– اطلب ما تشاء يا سيدى .

– لقد علمت أنك حضرت المزاد الذى جرى فى منزل مرجريت جوتييه

وهنا غلبته الانفعالات فانفجر باكيا .. وبعد قليل قال :

– لا تتعجب من سلوكى يا سيدى ولا تسخر منى ، ولكنى أرجو منك أن تصغى إلى قليلا .

شعرت بالعطف والإشفاق عليه وقلت له :

– ثق تماما أننى سوف أكون فى غاية السعادة عندما أقدم لك أية خدمة تطلبها .

فقال لقد ابتعت رواية " مانون ليسكو " من مخلفات مرجريت ؟

– نعم

– هل ما تزال لديك تلك الرواية ؟

– نعم

فراح يشكرنى كثيرا . وعندما جئته بالكتاب ألقى نظرة على الصفحة الأولى ثم قال وهو يبكى .

– هل تهتم باقتناء تلك الرواية يا سيدى ؟

– هل أنت الذى أهديت الرواية إلى مرجريت ؟

– نعم .

– حسنا .. يسعدنى إعادتها إليك .

– ولكن يجب أن أدفع لك ثمنها .

– إننى لم أدفع ثمنا كبيرا .

لقد علمت أنك دفعت مائة فرنك .. لقد عملت كل ما فى وسعى للوصول إلى باريس قبل بدء المزاد لأحصل على شىء من مخلفاتها ، ولكننى لم أصل إلا صباح اليوم ولذلك ذهبت إلى الدلاّل ومنه علمت بأسماء الذين ابتاعوا أشياءها وعلمت أنك الذى أنت الذى حصلت على الرواية فجئتك لأطلبها منك، ولكننى أرجو ألاّ تمثل شيئا هاما بالنسبه لك .

– كلا يا صديقى .. إننى لم أكن أعرف مرجريت وقد أحزننى موتها كثيرا وذهبت إلى المزاد لمجرد المشاهدة ولا أدرى لماذا ابتعت تلك الرواية ودفعت فيها هذا الثمن الكبير ؟ وربما كان تحديا لأحد الأشخاص الذى نافسنى على اقتنائها .. ويسعدنى أن أقدم لك الرواية عربونا لصداقتنا .

فتقبلها أرمان شاكرا يصافحنى بحرارة ، وكنت أتمنى أن أعرف منه سر اهتمامه بتلك الرواية والظروف التى أهداها فيها إلى مرجريت ولكننى لم أوجه إليه أى سؤال حتى لا يظن أننى أتطفل عليه نظير إهدائه الرواية ، ويبدو أنه أدرك ما أفكر فيه فقال :

– هل قرأت الكلمات التى كتبتها فى الصفحة الأولى ؟

– نعم .

– وفهمت منها أنك تنظر إلى مرجريت نظرة سامية .

– حقا يا سيدى .. لقد كانت ملاكا كريما .

وقدم إلى رسالة يدل منظرها على أنه قرأها آلاف المرات وطلب منى قراءتها فقرأت فيها ما يلى :

عزيزى أرمان :

لقد تسلمت رسالتك الغالية وسعدت كثيرا أنك بخير .. إننى مريضة مرضا خطيرا يا صديقى ولا أمل فى الشفاء منه .. وكم أتمنى أن يطول بى العمر حتى أصافح يدك الحبيبة لآخر مرة .

ولكن يبدو أن ذلك مستحيل ، فإننى أقترب من الموت بسرعة وأنت مازلت بعيدا عن باريس بمئات المراحل .ويجب أن تعلم يا صديقى أن مرجريت التى تعرفها قد تغيرت تماما وصار مرآها يبعث على الحزن والأسى ، وربما كان من الخير لك ألا تراها على تلك الحال .

لقد سألتنى فى رسالتك أن أصفح عنك وأعفو رغم ما أصابنى من غضبك وإننى أصفح عنك وأسامحك من كل قلبى ، فأنا أعلم أن ما فعلته لم يصدر إلا عن عاطفة صادقة وحب خالص .

منذ شهر مضى وأنا ألازم فراشى وأواظب على كتابة يومياتى فى كل يوم ، وسوف أترك تلك اليوميات لدى صديقتى "جوليا دييار " ويمكنك الحصول عليها عقب عودتك إلى باريس ، وستجد فيها سر تحولى عنك ، وسر تغير سلوكى تجاهك

وكم كنت أتمنى أن أترك لك بعضا من ممتلكاتى الخاصة لتذكرك بى بعد

رحيلى ولكننى للأسف لم أعد أمتلك شيئا منها لأنها كلها محجوزة لحساب الدائنين الذين تركوا حارسا يقيم بمنزلى للمراقبة ولضمان عدم تسرب شيئ مما أملك إلى الخارج .

إن الموت يقترب منى وأنا أشعر بالأسى الشديد لما صار إليه حالى ، ولكنها عدالة السماء ..كم أتمنى أن أراك قبل موتى ولو للحظة واحدة !

عفوا ، صديقى إننى مضطرة لأن أودعك .. إن يدى تعجز عن الكتابة ..

مرجريت جوتييه "وبعد أن أعدت الرسالة المؤثرة إلى أرمان قال لى بتأثر شديد :

– هل يصدق أحد أن كاتبة الرسالة فتاة من تلك الطبقة ؟ إننى لا أصدق أنها ماتت وأننى لن أراها مرة ثانية أبدا .. ولا يمكن أن أغفر لنفسى أننى تركتها تموت دون أن ترانى .. لقد فعلت الكثير من أجلى وضحت بكل شيء وماتت وهى تردد اسمى وتفكر فى ..

لا يمكن أن يقدر أحد من البشر مدى ما أعانيه من حزن لأجل تلك المسكينة التى تألمت من أجلى كثيرا وتحملت قسوتى طويلا كم أنا جدير بعفوها وصفحها .

غطى وجهه بيديه وراح يبكى بكاء مريرا .. ، شعرت بالعطف الشديد عليه وقلت له :

– لماذا لا تذهب الى أحد من أقاربك لتمكث معه قليلا حتى لا يقتلك الحزن ؟ إننى شديد التأثر لأجلك ولا أملك إلا الإشفاق عليك .

– إننى شديد الأسف على مضايقتك بآلامى وهمومى .

كلا يا صديقى لقد أخطأت الفهم ، كل ما أردت قوله هو أننى عاجز عن تخفيف أحزانك ،وإذا كان هناك شيء أفعله لأجلك لكى أخفف من آلامك فلن أتردد عن فعله أبدا .

– كل ما أطلب الآن أن تسمح لى بالبقاء قليلا حتى تجف دموعى وأستطيع السير فى الشوارع دون أن ألفت الأنظار إلى .. إننى لا أعرف كيف أعبر عن شكرى لك لإعطائى الرواية .

ماذا لو حدثتنى عن أسباب حزنك لعل ذلك يريحك قليلا ؟

– إننى أعدك بأن أقص عليك قصتى يوما ما لكى تعرف أننى لم أبك مرجريت وأحزن عليها دون حق أما الآن فإننى شديد الإرهاق ولا يمكننى الحديث .

وبعد أن ودعنى خرج من الباب إلى مركبة كانت فى انتظاره ، وما كاد يستقر فيها حتى دفن وجهه بين يديه وراح يبكى بكاء أليما .

خلال الأيام التالية سمعت الكثير من المعلومات عن مرجريت جوتييه، عن عشاقها الذين أفلسوا و عن الدوق العجوز الذى كان يعشقها ، وأجمع الكثيرون على طيبة قلبها ورقتها وجمالها الفريد ، وعلمت من أحد الأصدقاء أنها كانت على علاقة بشاب طويل أشقر وأنه كان يحبها حبا جنونيا وأنه قضى معها عدة شهور فى الضواحى وأنهما افترقا بعد ذلك .

وهكذا تحققت من صدق أرمان ديفال وأنه كان على علاقة بمرجريت جوتييه .

ولكن ارمان ذهب ولم يعد فقد انقضت عدة أيام دون أن يأتى كما وعدنى

وعزيت ذلك إلى اندمال جراح قلبه بعد أن استوعب صدمة موت حبيبته فبدأ ينساها .

ولكنني ماكدت أتذكر دموعه الصادقة ولوعته وإخلاصه حتى خطر لى خاطر آخر فربما يكون قد سقط مريضاً تحت وطأة الحزن !

وتولانى الفضول والاهتمام بارمان ديفال وقررت البحث عنه ، وكانت العقبة التى تعترض طريقى هى أننى لاأعرف له عنوانا ولاأعرف أحداًمن أصدقائه ،فذهبت إلى منزل مرجريت لعل البواب يعرف عنوان ارمان ، ولكننى وجدت بوابا جديدا وعرفت منه المكان الذى دفنت فيه مرجريت وكان فى "مونمارتر ، فذهبت إلى هناك ولم أجد صعوبة فى الاهتداء إلى القبر بعد أن سألت الحارس فأرسل معى بستانى المدفن الذى قال لى وهو يرافقنى :

– إن القبر الذى تسأل عنه يختلف عن سائر القبور ، فهو الوحيد الذى تزينه زهور الكاميليا ، وقد جاءنى شاب يبكى بكاء أليما وعهد إلى بالعناية بالزهور واستبدالها كلما ذبلت .. ولكن هل ترتبط أنت بصاحبة هذا القبر ؟

– كلا

– إذن زيارتك لها تعد كرما منك يا سيدى .. فلم يزرها غير هذا الشاب الذى جاء مرة واحدة فقط .

– ألم يأت بعد ذلك ؟

كلا .. فقد سافر لزيارة شقيقتها للحصول منها على إذن باستخراج الجثة !

– لماذا يفعل ذلك ؟

– لكى ينقلها إلى مدفن خاص ، كذلك حتى لا يضيق بعض الناس بوجود جثتها بالقرب من جثث ذويهم ! إن الناس لا يريدون التخلى عن غرور م حتى فى المدافن ... إنها حقا فتاة مسكينة تخلى عنها الجميع .. ولكن يكفيها حزن هذا الشاب وإخلاصه الشديد لها .

– هل تعرف عنوان مسيو ارمان ديفال ؟

– نعم يا سيدى فقد أعطانى العنوان لكى أذهب إليه للحصول على ثمن زهور الكاميليا .

فأعطانى العنوان وقال لى :

– هل تريد مقابلة مسيو أرمان ديفال ؟

– نعم

– إنى واثق أنه لم يعد من السفر لأنه بمجرد عودته سيأتى إلى هنا ، وأنا واثق تماما من قيامه بعملية نقل جثمانها إلى قبر جديد لغرض واحد فقط هو رغبته فى رؤيتها للمرة الأخيرة

– وكيف عرفت ذلك ؟

– لأنه سألنى كيف أستطيع رؤيتها ؟ وقد أرشدته إلى الوسيلة الوحيدة لذلك وهى نقل جثمانها إلى قبر آخر ، ولذلك فقد سارع إلى أختها ليحصل منها على تصريح بنقل الجثة .

وبعد أن تركت المدفن ذهبت إلى منزل ارمان ولم أجده هناك فتركت له بطاقتى وطلبت منه أن يأتى لزيارتى بمجرد عودته .

وتسلمت الرسالة من ارمان بعد يومين يخبرني فيها بعودته ويطلب مني الحضور إليه لأنه متعب للغاية ، فذهبت اليه لأجده راقداً في فراشه ووجهه شديد الشحوب ، وعندما صافحته وجدت يده ملتهبة للغاية وأدركت أنه مصاب بالحمى .. فقلت له :

ـ هل حصلت على التصريح من أخت مرجريت ؟

ـ من الذي أخبرك بأمر رحلتي إلى أخت مرجريت ؟

– بستاني القبر

– هل رأيت القبر ؟ وهل يعنى به البستاني ؟

شعرت بحزنه يطغى على كل شيء .. وانهمرت الدموع من عينيه وأدركت أنني كنت واهما عندما ظننت أنه قد نسي محبوبته الراحلة .. ورغم ذلك فلم أجد بدا من إجابة سؤاله فقلت له :

– نعم يعتني به كل العناية .. ولكن ماذا فعلت خلال الثلاثة أسابيع الماضية ؟

– لقد ظللت فترة طويلة راقدا بسبب الحمى ولولا ذلك لعدت منذ وقت طويل .

– حسنا .. يجب أن تستريح في فراشك .. أنك تبدو مريضا للغاية .

– سوف أغادر الفراش بعد ساعتين ! نعم سوف أذهب لمقابلة المأمور لأحصل على موافقته بخصوص نقل الجثة .

يمكنك أن تكلف شخصا آخر بأداء تلك المهمة حتى لا يتفاقم مرضك .

– كلا إن الدواء الوحيد لمرضى هو القيام بهذه المهمة .. إننى أكاد أجن لكى أراها .. ولن أصدق أن حبيبتي الرائعة التى تركتها فى غاية الصحة والقوة قد ماتت مالم أرها بعينى فربما خفف منظرها البشع من آلامى الرهيبة ... سوف تأتى معى .. أليس كذلك ؟

– ولكننى أخشى عليك وأرجو أن تؤجل تلك المهمة حتى تسترد صحتك قليلا .

– كلا يا صديقى إننى لن أستريح حتى أراها مهما تحملت من عناء ، إننى سأجن إذا لم أرها بأسرع ما يمكن .

– حسنا .. سوف أكون معك .. هل قابلت جوليا ديبار ؟

– نعم وحصلت منها على مذكرات مرجريت .. لقد حفظت محتوياتها فقد كنت أقرؤها فى اليوم عشر مرات ، وبعد أن أعود إلى حالتى الطبيعية سوف أعطيها إليك لتقرأها .

والآن أرجوك أن تذهب إلى مكتب البريد لتأتينى بما قد يكون لديهم من رسائل باسمى .

وذهبت إلى مكتب البريد فوجدت رسالتين باسمه فتسلمتهما وعدت إليه لأجده قد بدل ثيابه استعداداً للخروج ، وبعد أن نظر إلى الرسالتين قال :

– إنهما من أبى وأختى .. لا بد أنهما شعرا بالقلق على .. سوف أرد عليهما بعد أن نعود .

هيا بنا الآن إلى مركز البوليس .

وبعد أن أعطى أرمان الضابط التصريح الذى حصل عليه من شقيقة

مرجريت أعطاه الضابط رسالة الى حارس المقبرة واتفق معه على نقل الجثة فى العاشرة من صباح الغد .

قضيت ليلة مسهدة غلبتنى فيها الانفعالات واستولى على القلق نظرا للمهمة الشاقة التى تنتظرنى فى الغد مع أرمان .

وفى التاسعة صباحا ذهبت الى أرمان فوجدته شديد الامتقاع وأدركت أنه ظل مستيقظا طوال الليل .

وفى مونمارتر وجدنا الضابط فى انتظارنا حيث قادنا إلى المقبرة وكان أرمان يستند الى ذراعى وهو يرتجف بشدة من الانفعال .. وعندما اقتربنا من القبر نظرت إلى وجهه فوجدته يقطر عرقا .

وبعد أن وصلنا إلى القبر أزال البستانى الزهور وأخذ رجلان يحفران الأرض بينما كان أرمان ينتفض بعنف ويضغط على ذراعى .. وظل يحملق فى القبر المفتوح بعينين مفتوحتين لم يطرف لهما جفن .. أما أنا فقد كنت فى غاية التوتر والانفعال .

وبعد أن أخرج الرجلان التابوت أمر الضابط بفتحه .

رفع الرجلان غطاء التابوت بصعوبة حيث انبعثت رائحة كريهة للغاية رغم ما يحيط بالجثة من أعشاب عطرية .. وجدت أرمان يهمس قائلا :

- "يا إلهى" .

فقد رأينا ونحن نرتجف من هول المنظر قدمى مرجريت وقد تحولتا إلى عظام.

فصاح الضابط يأمر الرجلين :

– هيا بسرعة

فأسرع أحدهما بالكشف عن وجه الجثة لنرى منظرا رهيبا لم يسبق لأحد رؤيته ، كان منظرا بشعا لا يمكن وصفه بسهولة حيث اختفت العينان وحلت محلهما فجوات سوداء وتلاشت الشفاه ولم يعد ظاهرا سوى الأسنان وانسدل الشعر على عظام الفكين .

وراح ارمان يحملق فى هذا المشهد المخيف وهو يقضم منديله بينما قال الضابط :

– هل هي الجثة التي تريد نقلها ؟

فأجابة ارمان بصوت واهن :

– نعم

فأمر الضابط بإغلاق التابوت ونقله إلى المقبرة الجديدة ، بينما ظل واقفا ينظر إلى القبر الخاوى وقد تحول وجهه تحولا رهيبا وشلت حركته فنصحنى الضابط بالذهاب به بعيدا لأن حالته سيئة للغاية .. فقلت له :

– هيا نذهب لقد انتهى كل شىء : هيا بنا إنك شديد الانفعال

ولكنه لم يستطع الحركة فاجتذبته معى وتركنى أقوده حتى بلغنا المركبة وهو يحدث نفسه ، وما كاد يجلس فى المركبة حتى أخذ يرتجف بعنف .. وبعد أن وصلنا إلى بيته تعاونا أنا وخادمه فى نقله الى سريره ثم اسرعت لكي أحضر له طبيبا .

وبعد أن عدت إليه بالطبيب وجدته يهذى ويذكر اسم مرجريت .. وبعد أن فحصه الطبيب قال :

– لقد أصيب بحمى شديدة من حسن الحظ ، ولولا ذلك لفقد عقله .

اللقاء الأول

وبعد أسبوعين كاملين لم أفارق ارمان فيهما بدأ يدخل دور النقاهة بعد زوال الخطر عنه وتوثقت بيننا عرى الصداقة ، وبدأ يتحدث إلى فى مواضيع شتى ولكنها غالباً ما تنتهى بذكر محبوبته الراحلة رغم محاولاتى الكثيرة الابتعاد عن ذكراها حتى يكتمل شفاؤه ، ورفض أرمان أن يخبر أسرته بمرضه .

وفى أحد أيام الربيع المشرقة وبينما نجلس بجوار النافذة قال ارمان :

– لقد عرفتها فى يوم مثل هذا من أيام الربيع .. لقد حان الوقت لكى أقص عليك قصتى مع مرجريت حتى تسجلها فى رواية خالدة .

أجبته :

– أعتقد أن الوقت غير مناسب الآن ، ويمكنك الانتظار حتى يكتمل لك الشفاء .

– كلا ... إننى الآن على ما يرام وسوف أسرد عليك أحداثها بالترتيب .

وها هى قصة ارمان كما رواها دون أن أغير شيئاً فيها .

فى مساء مثل هذا رأيتها فى مسرح " الفاريانيه " ، فقد خرجنا أثناء

الاستراحة .. أنا وصديقى جاستون . إلى أروقة المسرح حيث مرت بنا فتاة طويلة القامة نحيلة تبادلت التحية مع صديقى فقلت له :

- من هذه ؟

- مرجريت جوتييه .

- ولكنها تغيرت كثيراً ... إننى لم أكد أعرفها

- إنها مريضة .. إننى مشفق على هذه الفتاة كثيراً فهى لن تعمر طويلاً .

وكنت قد رأيت مرجريت لأول مرة قبل ذلك بعامين حينما هبطت من مركبتها لتدخل أحد محلات الأزياء فى ميدان « البورصة » كانت رائعة الجمال ترتدى ثوباً أبيض ، وعندما رأيتها تجمدت فى مكانى واضطربت اضطراباً شديداً ومكثت فى مكانى حتى خرجت من المحل وعادت إلى مركبتها ثم ابتعدت ، وقد لاحظ أصدقائى ما يعترينى من اضطراب عندما أراها وكثيراً ما سخروا منى لذلك ، وصرت أبحث عنها فى كل مكان حتى رأيتها مرة ثانية فى مسرح " الاوبرا كوميك" وكان يرافقنى صديقى « ارنست » ، وحينما وقع بصر مرجريت على صديقى ابتسمت له وأشارت إليه تدعوه إلى مقصورتها فقال :

- سأذهب لتحيتها وأعود إليك حالاً.

- يالك من سعيد الحظ لأنك تعرفها .

- هل تحبها ؟

- كلا .



وشعرت بالخجل الشديد ، فعرض على صديقى أن يقدمنى إليها فقلت له

– ولكن يجب أن تستأذنها أولاً .

– لا يجب أن نتقيد بالتقاليد مع فتاة مثل هذه .

وشعرت بالألم الشديد عندما سمعت تلك العبارة التى تنال من الإنسانة التى ملكت جماع قلبى .. أخذت أذرع الردهة خارج مقصورتها فى قلق حتى يمهد لى ارنست الطريق ، وكنت وقتها أفكر فيما يجب على أن أقوله من كلمات ، بعد قليل عاد صديقى ودعانى إلى مقصورتها ، ويبدوأنه لاحظ اضطرابى الشديد لأنه قال لى :

– لا تظن أننى سأقدمك إلى إحدى المركيزات أو الدوقات .. إن هى إلا فتاة عابثة .. فلا تضطرب أمامها وقل ما يخطر ببالك دون خوف .

وعندما دخلت إلى مقصورتها وجدتها تضحك وضايقنى ذلك .. وحينما قدمنى إليها صديقى حيته ببساطه ونظرت إلى مما جعلنى اضطرب وأخفض عينى إلى الأرض، وهنا وجدتها تهمس فى أذن صديقتها ببضع كلمات تنفجر بعدها هى وصديقتها ضاحكتين ، وأدركت أنى كنت موضع سخريتهما مما ضاعف من اضطرابى ، وقال صديقى مخاطباً مرجريت :

– يبدو أن صديقى قد فتنه جمالك فلم يعد قادراً على الكلام .

ولكننى شعرت بالضيق والألم ، فقد كنت أضعها فى منزلة سامية فى خيالى وقررت أن أنسحب فقلت لها بلهجة تنم عن الضيق :

– أرجو المعذرة لتطفلى عليك .

وبعد أن عدت إلى مقعدى لحق بى صديقى وقال لى :

- ياك من شخص عجيب .. لقد ضحكت مرجريت وقالت إنها لم تقابل شخصاً أعجب منك ..يا صديقى لا تعط مزيدا من الاهتمام لامرأه من تلك الطبقة .

- لقد انتهى الأمر ولن أراها بعد ذلك .

ولكنى ظللت أراقب مقصورتها وأفكر فيها وأتمنى أن أثأر لكرامتى التى أهينت على يديها ، وقبل نهاية المسرحية نهضت مرجريت لتنصرف ووجدتنى رغماً عنى اتبعها بعد أن استأذنت صديقى فى الخروج وأخذت أراقبها حتى دخلت بيتها بشارع دانتان .

وتكررت رؤيتى لها وكنت أصاب بالاضطراب الشديد كلما رأيتها ، وحدث أن مر أسبوعان دون أن أراها فسألت عنها صديقى جاستون الذى قال :

- إنها مريضة بالتهاب رئوى ولا تغادر الفراش .

وأخذت أتردد على بيتها كل يوم دون أن أذكر اسمى وأطمئن عليها حتى رحلت إلى بانير وانقطعت عنى أخبارها وشغلت برحلاتى وأعمالى وكدت أنساها خلال عامين كاملين حتى التقيت بها مع صديقى جاستون فى مسرح " الفارتيه " فوجدتنى أضطرب كما لم يحدث من قبل .. لقد كان حبى لها كامناً فى قلبى حتى رأيتها فانبعث الحب مرة أخرى قوياً ملتهباً .. ،عندما عدت إلى مقعدى أخذت أبحث عنها حتى عثرت على مقصورتها وأخذت أتأملها ، ولاحظت مدى ما طرأ عليها من تغير كبير ، فلم أعد أرى على وجهها تلك الابتسامة العابثة ، أما جسدها فقد أصابه النحول بدرجة شديدة وتركت العرض ورحت أتأملها فوجدتها تتبادل النظرات مع إحدى

السيدات فى المقصورة المقابلة لمقصورتها ، فنظرت إلى تلك السيدة وسررت كثيراً لأنى كنت أعرفها ، فقد كانت ممثلة فاشلة ثم تحولت إلى صنع الأزياء ، وقررت أن أجعلها واسطة التعارف بينى وبين مرجريت ، فما أن وقع بصرها على حتى لوحت لها محيياً فدعتنى إلى مقصورتها ، وكانت امرأة بدينة فى نحو الأربعين من عمرها اسمها "برودنس دوفرنوى" ، وحينما رأيتها تتبادل النظرات مع مرجريت سألتها .

– من هذه ؟

– مرجريت جوتييه . إنها جارتى وبالإضافة إلى ذلك فأنا أصنع لها ثيابها .

– يالها من فتاة رائعة !

– هل تود التعرف عليها ؟

– أتمنى ذلك

– هل تحب أن أدعوها إلى تلك المقصورة .

– كلا .. إننى أحب أن تقدمينى إليها أولاً .

– ولكن من الصعب أن أقدمك إليها فى بيتها لأنها تعيش فى رعاية دوق عجوز يغار عليها كثيراً .

ثم قصت على كيف تعرف الدوق بمرجريت فى بانير وكيف ارتبط بها .

واتفقنا على أن ننصرف أنا وصديقى جاستون بصحبتها ونذهب إلى منزلها ، وعندما ذهبت إلى صديقى لاخبره بذلك وجدت شيخاً عجوزاً فى

نحو السبعين يدخل إلى مقصورة مرجريت ويتبادل معها الحديث وأيقنت أنه هو الدوق .

وبعد أن ذهبنا إلى منزل برودنس ـــ الملاصق لمنزل مرجريت ـــ شاهدنا مالديها من أزياء مبتكرة ، وبدأت في توجيه الأسئلة إليها بخصوص مرجريت فسألتها :

– لابد أن الدوق يقضى سهراته لديها ؟

– كلا ... أعتقد أنه وجدها الآن ، إننا نقضى أغلب السهرات سوياً ، فهى لا تستطيع النوم مبكراً بسبب مرضها .. آه أظن أننى أسمع صوتها تناديني .. فيجب أن ننصرف الآن .

– ولماذا ؟

– لأننى سأذهب إلى مرجريت .

– سوف نذهب معك .

– كلا ... إن هذا مستحيل .

وعاد صوت مرجريت واضحاً وهى تقول لبرودنس :

– إننى أريدك الآن فإن الكونت " ن " يكاد يقتلنى من السأم والملل .

– ولكننى لا أستطيع الحضور الآن ... فلدى شابان لا يريدان الانصراف .

– وماذا يريدان ؟

– يريدان مقابلتك !

- ومن هما ؟

- أحدهما المسيو "جاستون" وأنت تعرفينه ، أما الثانى فهو مسيو " ارمان ديفال" .

- لا أعرف الأخير ولكن لا بأس أن تأتى معهما ، إن أى شخص سيكون خيراً من هذا الكونت الممل وتبعتنا برودنس إلى بيت مرجريت وأنا أشعر باضطراب شديد وبأن تلك المقابلة ستترك أثراً عميقاً فى حياتى .

ودخلنا إلى بيت مرجريت حيث قادتنا الخادمة إلى غرفة سيدتها التى كانت تعزف على البيانو وعلى مقربة منها جلس شاب بدا على وجهه الملل والضيق ، وحينما سمعت "مرجريت " صوت "برودنس" نهضت واقفة وهى تبتسم وقالت :

- مرحباً بكم ... تفضلوا .. مرحباً بك يا مسيو جاستون .. لماذا لم تأت إلى مقصورتى ؟

- لقد خشيت أن أكون متطفلاً .

- كلا لا يمكن أن يكون الأصدقاء من المتطفلين .

قال جاستون :

- أقدم لك صديقى مسيو " ارمان ديفال " .

فقلت لها وأنا انحنى باحترام :

- لقد تشرفت بمقابلتك من قبل منذ عامين فى مسرح الكوميك ، وكان سلوكى شاذاً مما جعلنى موضعاً للهزء والسخرية .

فقالت :

– لقد تذكرت الآن .. إنني أخطأت كثيراً في سلوكي نحوك تلك الليلة وأرجو أن تكون قد غفرت لي .. إن من أسوأ عاداتي السخرية من الأشخاص الذين أقابلهم لأول مرة بسبب توتر أعصابي وآلامي المستمرة .

– ولكن يبدو أنك الآن في صحة جيدة .

– لقد تحسنت قليلاً بعد أن كاد المرض يقضي علي .

– لقد كنت أعلم بذلك .

– وكيف علمت ؟

– كنت أتردد على منزلك للاطمئنان .

– آه ... فأنت الشاب الذي يسأل عني كل يوم ويرفض أن يذكر اسمه ! يالك من إنسان كريم إن هذا الكرم لم يصدر عن شخص مثل الكونت .

كانت مرجريت تتعمد إهانة الكونت وإحراجه بينما هو ينظر إليها مستعطفاً حتى تخفف من قسوتها عليه دون جدوى ، فنهض لكي ينصرف ، وطلبت مرجريت من خادمتها « نانين » مرافقته إلى الباب .. وبعد أن ذهب الكونت بدا الارتياح على وجه مرجريت وقالت :

– إنه كاد يحطم أعصابي بأحاديثه التافهة .. هل تتناولون شيئاً من الشرا ب .

فقالت برودنس :

– إنني أريد أن أتناول بعض الطعام .

قال جاستون :

– يالها من فكرة طيبة .. هيا نتناول الطعام جميعاً فى أحد المطاعم .

ولكن مرجريت اعترضت وأمرت خادمتها أن تذهب وتحضر طعاماً حتى نتعشى بمنزلها ثم قالت :

– ما أجمل أن نتناول العشاء هنا ..

ورحت أتأمل جمالها وفتنتها ... كان إعجابى بها يزداد ، خاصة بعد أن طردت الكونت رغم ثرائه الفاحش . كنت أراها عذراء أخطأت الطريق ، ولكنها ما تزال تحتفظ ببراءتها وطهارة نفسها ، وبكبريائها وعزة نفسها.. وبينما أنا أفكر فيها وجدتها تقول لى :

– يالك من إنسان غاية فى النبل والكرم .. كيف أعبر عن امتنانى لك ؟

– بأن تسمحى لى بزيارتك ؟

– يمكنك أن تأتى كلما أردت بين الخامسة والسادسة مساء ، وبين الحادية عشرة والثانية عشرة مساء .

وراحت تعزف على البيانو وتغنى أغنية مبتذلة هى وجاستون مما جعلنى أشعر بالحزن والضيق وطلبت منها أن تتوقف عن الغناء ولكنها لم تكف .. وذهبت مع برودنس فى جولة لمشاهدة منزل مرجريت الحافل بالتحف والنفائس .

وبعد قليل حضرت نانين وأعدت المائدة ، وكان عشاء مرحاً للغاية .

ورحت أتأمل مرجريت وهى تسرف فى الشراب حتى تكاد تقتل نفسها ،

وتعالت ضحكاتها الرنانة تملأ جو الغرفة بالمرح ، ولكنني شعرت بأنها تحاول نسيان آلامها الشديدة وبعد قليل جاءتها الأزمة ، فراحت تسعل بقوة ثم وضعت منديلها على فمها ، وبعد أن رفعته وجدت عليه بقعاً من الدماء .. فهرعت إلى حجرتها وتركتنا .

فقال جاستون بجزع :

– ماذا أصابها ؟

قالت برودنس :

– لقد ضحكت كثيراً مما تسبب في جرح رئتيها كما يحدث كل يوم فلا تقلق ... إنها تفضل أن تظل وحدها في هذه الأحوال ... ولكنني لم أشعر بنفسي وأنا أذهب خلفها وأدخل إلى غرفتها حيث كانت ممددة على سريرها وبجانبها إناء به ماء وقد تلوث بالدماء .. بينما كانت تلهث وتضع يدها فوق صدرها .. ويبدو أن علامات الألم الشديد والقلق كانت ترتسم على وجهي لأنها حينما رأتني قالت :

– ما بك .. هل تشعر بالمرض ؟

– كلا ... إنني أتألم لأجلك ... إنك تقتلين نفسك ... ليتني كنت من أهلك حتى أجعلك تهتمين بصحتك .

– لا تقلق .. لقد تعودت على هذه الآلام ولم يعد أحد يهتم بي .. هيا بنا نعود إلى المائدة ... ولكنني لم أستطع النهوض نظراً لشدة اضطرابي وخوفي عليها فاقتربت مني وهي تقدم إلى يدها وتدعوني للنهوض ، فتناولت يدها وقبلتها وعندها سقطت دموعي فوق يدها .



قالت بانزعاج :

– ماذا ؟ هل تبكى ؟

– إننى شديد الحزن من أجلك .

– ما أطيب قلبك .. إننى أدرك أنى سأموت قريباً ولذلك أحاول الترفيه عن نفسى بشتى الطرق ، كما أن حياة إنسانة مثلى أو موتها لا تهم أحداً فى العالم .

– كلا يامرجريت ... إننى لم أعد أهتم بأحد فى العالم سواك وذلك منذ أن رأيتك لأول مرة .. فأرجوك أن تعتنى بنفسك .. إننى على استعداد للسهر عليك حتى يكتمل شفاؤك وبعدها يمكنك أن تفعلى ما يحلو لك ، ولكننى أرجو أن تحيى حياة تحفظ لك شبابك وجمالك .

– يبدو أن هذا رأيك الليلة بعد أن تناولت كثيراً من الشراب .

– كلا يامرجريت .. لقد واصلت السؤال عنك طيلة شهرين دون أن أراك مرة واحدة .

– ماذا تسمى ذلك ؟

– إخلاص وعطف عليك .

– يمكنك أن تقول إنى أحبك دون لف أو دوران .

– إننى لن أفعل ذلك الآن .

– من الأفضل لك ألا تفعل أبداً لأن النتيجة سوف تكون أحد أمرين إما أن أصدك فتصيبك صدمة شديدة وإما أن أرضى وفى هذه الحالة لن يمكنك

تحمل نفقاتى الباهظة التى تبلغ مائة ألف فرنك فى العام .

شعرت بالألم الشديد ولكننى لم أستطع التوقف بعد أن صارحتها بحبى فقلت لها :

– إن صورتك لا تبارح خيالى منذ أن رأيتك لأول مرة منذ ثلاثة أعوام .. قد أصبحت تسيطرين على قلبى وعقلى تماماً .

– ولكنك إذا عاشرتنى فسأجلب لك الخراب وسينبذك أهلك من أجلى ، يمكنك أن تحبنى كصديقة ولكن لا تضعنى فى منزلة لا أستحقها إننى لا أساوى شيئاً .

– لا يمكننى التخلى عنك أبداً .. فلا يوجد أحد فى العالم أحبك كما أحببتك أنا .

– ولكن لماذا لم تصارحنى بحبك من قبل ؟

– لأننى خشيت أن تصدينى .

– إنك تحبنى حباً عظيماً ... فماذا أفعل تجاه هذا الحب ؟

– ليتك تبادليننى الحب .

وهنا لاحظت أنها بدأت تبادلنى مشاعرى ، فاقتربت منها وأحطتها بذراعى .

– حسناً ياصديقى .. يمكننى ذلك إذا ما وعدتنى بإطاعة رغباتى وعدم التدخل فى شئونى .

– إننى أعدك بذلك .

– كم بحثت عن إنسان طيب يحبنى دون أن يطلب شيئاً فى المقابل ووجدتنى أضمها إلى صدرى وأنا أقول لها :

– متى يمكننى رؤيتك ؟

– فى الحادية عشرة من مساء الغد .. ولكن أرجو ألا تخبر صديقك أو برودنس بذلك .

وعدنا إلى قاعة الطعام حيث مكثنا قليلاً ثم استأذنت أنا وجاستون فى الانصراف ، وفى الطريق قال لى جاستون :

– ما الذى دار بينكما أنت ومرجريت ؟

– لقد صارحتها بحبى .



جحيم الغيرة

وبعد أن عدت إلى منزلى فى تلك الليلة لم أذق للنوم طعماً ومرت بذهنى عشرات الأفكار ، لم أصدق فى البداية أنها تبادلنى بعضاً من مشاعرى الملتهبة وأنها سمحت لى برؤيتها دائماً لتحقق حلم حياتى .. لم أفكر لحظة واحدة فى أنها غانية متقلبة العواطف والمشاعر تمنح الحب لمن تريد وتمنعه عمن تريد ، كنت واثقاً من قدرتى على ردها إلى الطريق السليم وإعادتها لسيرتها الأولى فتاة طاهرة بريئة .

وبدأت عواطف الغيرة تجتاحنى بعد أن تذكرت الكونت الذى التقينا به فى بيتها منذ ساعات .

ولكننى هدأت قليلاً عندما أيقنت أنها تمقته ولاترغب فى رؤيته أبداً .

وصور لى غرورى أنها تحبنى أنا وحدى لأننى الوحيد الذى أحببتها لذاتها ولم أطلب منها أى مقابل لذلك الحب مثل كل الرجال .

وشعرت بالقلق الشديد لأننى خشيت أن يكون رضاء مرجريت بمقابلتى هو مجرد رغبة عارضة سرعان ما تزول وتنبذنى بعدها .

وأخيراً غلبنى النعاس عند مطلع الفجر واستيقظت فى الساعة الثانية بعد

الظهر وأنا أشعر بالسعادة الطاغية واللهفة الشديدة للقاء مرجريت .

مر الوقت بطيئاً للغاية حتى دقت الساعة العاشرة والنصف فأسرعت إلى منزل مرجريت وطرقت الباب ولكن البواب أخبرني أنها لم تعد بعد.

ونظرت إلى ساعتي فوجدتها ما تزال العاشرة والنصف وخمس دقائق .. ياإلهي ما أبطأ مرور الوقت .

ورحت أسير في الشارع حتى رأيت مركبتها مقبلة ، وبعد لحظات هبطت مرجريت ونظرت حولها ثم طرقت الباب ، وهنا اقتربت منها محيياً فقالت دون اكتراث :

– أهذا أنت ؟

– هل نسيت موعدنا الليلة ؟

– آه .. لقد نسيت حقاً .

وشعرت بالألم الشديد ، ولكنني بدأت أفهم غرابة أحوالها ، ودخلت معها المنزل حيث بادرت خادمتها بقولها :

– إنني أريد مقابلة "برودنس" بمجرد عودتها ، واذا سأل عني أي شخص أخبريه أنني لن أعود الليلة وبعد قليل استلقت في سريرها وقالت :

– يبدو أنك تريد أن تقول شيئاً ما ؟

– نعم ... يبدو أنني قد أخطأت في زيارتك الليلة ، إن ملامحك تدل على الانزعاج .

إنك لم تخطيء ياعزيزي بل إنني مريضة ولم أذق طعم النوم في الليلة

الماضية .

وهنا دق جرس الباب فقالت فى ضيق :

- ترى من الذى يقرع الجرس ؟

ولم ينقطع رنين الجرس فقالت مرجريت :

- يبدو أنه لا يوجد أحد سواى .. انتظرنى هنا حتى أفتح الباب .

وسمعتها تخاطب الكونت "دى نـ.. " الذى كان عندها بالأمس وتقول له :

- إننى مريضة للغاية وفى أمس الحاجة إلى الراحة ، فأرجوك أن تتركنى وشأنى ليس الليلة فقط بل إلى الأبد .. إنك تضايقنى إلى أقصى حد .. والآن وداعاً .

ثم عادت إلىّ ، وكانت " نانين " قد أقبلت فقالت لها :

- إذا رأيت هذا الأحمق فى أى وقت فقولى له إننى لست بالمنزل .. إننى لا أريد أن أراه .. ليتنى لم أعرف تلك المهنة التى تكاد تقتلنى .. إنه الغرور وحب المال والترف والمجوهرات .. كل هذه الأشياء تجعلنا محاطين بأشخاص كالكلاب المفترسة التى تنهش أجسادنا .. هيا يانانين أريد بعض الشراب والطعام .

وقالت تخاطبنى :

- سوف تتناول معى طعام العشاء .. انتظرنى قليلاً حتى أبدل ثيابى .

وبعد أن تركت الغرفة وجدت برودنس مقبلة وهى تقول :

- هل حضرت الليلة ؟ أين مرجريت ؟

– فى غرفة ثيابها .

– حسناً .. هل علمت أنها بدأت تميل إليك ؟ ولكن لماذا جئت الليلة ؟

– لقد جئت لزيارتها .. ولكنها استقبلتنى استقبالاً سيئاً للغاية .

– لا عليك .. فسوف يتحسن حالها فوراً لأننى أحمل إليها نبأ ساراً .

– إن هذا يسعدنى .. ولكن ماذا قالت مرجريت عنى بعد أن تركتها ليلة أمس ؟

– لقد ألقت على عشرات الأسئلة لتعرف كل شىء عنك وعن أهلك وما هو عملك وعلاقاتك السابقة وغيرها من الأسئلة التى تدل على اهتمامها بك .

وفى هذه اللحظة جاءت مرجريت بعد أن بدلت ثيابها وبدت رائعة للغاية وعندما شاهدت برودنس قالت :

– هل نجحت فى مقابلة الدوق ؟ وهل وفقت فى مهمتك ؟

– نعم .. وقد أعطانى ستة آلاف فرنك .

– وهل بدت عليه دلائل الضيق ؟

– كلا .

ومدت إلى برودنس يدها وتناولت ست أوراق مالية وقالت :

– إننى فى حاجة ماسة إلى هذه النقود .. وأنت يا برودنس هل تريدين منها شيئاً ؟

– آه .. يجب على سداد بعض الديون غداً وأود أن أقترض منك ثلاثمائة فرنك أو أربعمائة .

- سوف أرسلها إليك غداً .

- سوف أذهب الآن .. إلى اللقاء غداً .

تمددت مرجريت فى سريرها ودعتنى للجلوس على حافة الفراش ، وكانت قد أصبحت أكثر إشراقاً ومرحاً عما رأيتها ويبدو أنها كانت فى أشد الحاجة إلى تلك النقود ثم تناولت يدى وقالت بلطف :

- أرجو أن تغفر لى مقابلتى السيئة لك هذا المساء .

- لقد غفرت لك .. إننى على استعداد لأن أغفر لك دائماً .

- هل ما زلت تحبنى رغم ما بدر منى ؟

- أحبك بجنون رغم كل شىء .

★ ★ ★

وفى حوالى الخامسة صباحاً همست مرجريت في أذنى :

- أرجو أن تنصرف الآن لأن الدوق يأتى لزيارتى كل صباح وإذا أخبرته "نانين" بأننى نائمة فإنه ربما ينتظرنى حتى أنهض من النوم .

فقبلتها ثم قلت لها :

- متى أراك ؟

- سوف تجد على حافة الموقد مفتاحاً صغيراً عليك أن تفتح به الباب ثم تعيده إلى مكانه وتنصرف وخلال النهار سأرسل إليك رسالة لتحديد موعد لقائنا ، ولا تنس أنك وعدتنى بالطاعة المطلقة .

- إننى لم أنس .. ولكننى أطلب منك شيئاً .

- ما هو ؟

- أن تسمحى لى بأن أحتفظ بهذا المفتاح .

- ولكننى لم أعطه لأحد من قبل !

- لأن أحداً من قبل لم يحبك كما أحببتك .

- إن المفتاح قد أصبح عديم القيمة لأن للباب عدة مزاليج والأمر يتوقف على ما أريده .. ولكنى سأسمح لك بأخذه .

- من المؤكد أنك تحبيننى كما أحبك .

- أظن أننى بدأت أحبك .

★ ★ ★

وعندما استيقظت وجدت خادمى يحمل إلى رسالتها التى تعدنى فيها بمقابلتى فى مسرح " الفودفيل " بعد الفصل الثالث .

وذهبت إلى المسرح مبكراً حيث بدأت جميع المقصورات تمتلىء عدا واحدة فقط خالية حتى جاء الفصل الثالث ورأيت مرجريت تدخل إليها ، وبمجرد دخولها أخذت تبحث عنى حتى وجدتنى وأومأت إلىّ بالتحية .

كانت رائعة الجمال فى تلك الليلة بدرجة تفوق ما شاهدته من قبل ، ويبدو أن الحب قد زادها جمالاً وفتنة .

وتملكتنى سعادة طاغية بمجرد رؤيتها وصرت أتمنى أن تأتى الساعة الحادية عشرة سريعاً حتى ألتقى بها .

ولكن سعادتى انقلبت إلى ضيق شديد عندما رأيت رجلاً يدخل إلى مقصورتها وعرفت أنه " الكونت جـ ".. صاحب الفضل الكبير عليها ودخلت إلى المقصورة برودنس أيضاً .

شعرت مرجريت بما اعترانى من ضيق فابتسمت لى ولم تتحدث مع الكونت وبعد نهاية الفصل همست فى أذنه ببعض الكلمات غادر على أثرها المقصورة وعلى الفور دعتنى إليها وقالت :

- اجلس .

- إننى لا أحب ان أشغل مقعد الكونت .

- إنه سيعود بعد قليل ، فقد أرسلته ليشترى بعض الحلوى حتى أتحدث معك قليلاً .

- ماذا حدث حتى تتجهم هكذا ؟

- إننى متعب قليلاً .

- كلا .. إن سبب ضيقك هو رؤيتك الكونت فى مقصورتى .

- كلا .. ليس هذا هو السبب .

- إننى على يقين مما أقول .. سوف نتحدث فى ذلك فيما بعد ، وعليك بعد أن تنتهى المسرحية أن تذهب الى بيت برودنس وتنتظرنى هناك .

- حسناً .

- لقد أصبحت أخشى الوقوع فى غرامك .. والآن هيا عد إلى مقعدك قبل حضور الكونت .. وكان الكونت قد حجز المقصورة ودعا مرجريت

لحضور العرض ولم يكن باستطاعتها أن ترفض ، وشعرت بالتعاسة الشديدة فى تلك اللية عندما رأيتها تغادر المسرح بصحبته .

★ ★ ★

وخرجت من المسرح إلى بيت برودنس حيث سألتها :

- أين مرجريت ؟

- فى بيتها . بصحبة الكونت " دى جـ .. "

شعرت بالضيق الشديد ورحت أذرع الغرفة جيئة وذهاباً فقالت برودنس ؟

- ماذا يضايقك ؟ يجب أن تدرك أنها لا تستطيع طرد الكونت ، فهو يعطيها مبالغ كبيرة بالإضافة إلى أنه صديقها منذ زمن طويل .. ولا تنس أن نفقات مرجريت باهظة للغاية ، فهى تنفق فى العام أكثر من مائة ألف فرنك ولا يمكنها أن تحصل من الدوق على كل هذا المبلغ ، ولذلك فلابد من أن تحافظ على الكونت لتحصل منه على بعض المال . إن مرجريت تحبك حقاً ولكن إيرادك الضئيل لن يكفيها للإنفاق على مركبتها ! فعليك أن تقبلها كما هى وتجنب مضايقتها ، فهى تحبك ولا تكلفك شيئاً وتحرص على لقائك فمن يحلم بكل ذلك ؟ ثم ماذا لو علم الدوق أو الكونت بحب مرجريت لك وانصرافها عنهما وهل يمكنك أن تتحمل نفقاتها وتسدد ديونها ؟ إنك بذلك تجلب عليها وعليك الدمار والخسارة .

ولم أملك إلا الاعتراف بصحة رأيها .

وبعد انصراف الكونت دعتنا مرجريت إليها ، وما كادت ترانى حتى أحاطتنى بساعديها وضمتنى إليها وسألتنى :

- هل زالت أسباب ضيقك ؟

فقالت برودنس :

- لقد أطلعته على كافة الحقائق وأظنه فهم الأمور فهماً صحيحاً ثم جلسنا إلى مائدة الطعام وأخذت أتأمل مرجريت بفتنتها وجمالها وضحكاتها الرائعة وبعد أن انتهينا من الطعام دعتنى إلى الجلوس بجانبها فقالت :

- إننى أفكر فى خطة رائعة .

- وما هى ؟

- لن أخبرك بها ولكن سأخبرك بنتيجتها وهى أننى سأسدد كل ديونى بعد شهر ثم نذهب معاً إلى أحد الضواحى لقضاء الصيف .

- ولكننى أريد معرفة تفاصيل تلك الخطة .

- لا تنس اتفاقنا ياعزيزى .

ومن الطبيعى أن أطير فرحاً بهذا الاقتراح رغم القلق الذى انتابنى .. ولابد أنها شعرت بما أعانيه فقالت :

- أيها الأحمق إننى أفعل المستحيل حتى أقضى معك عدة شهور فى أحد الضواحى بعيداً عن الصخب والضوضاء والجو الملىء بالفساد هنا فى باريس ، كم سأكون سعيدة معك .. لقد بلغ بى الجنون أننى أحببتك .. نعم إنى أعترف بحبى لك فلا تجعل أى شىء يعكر صفونا .. هل توافق ؟

- إن سعادتى هى فى رضاك .

- كم سيكون رائعاً أن نعيش فى الريف حياة بسيطة هادئة تذكرنى

بأيام الطفولة حيث كنت طفلة فقيرة ، كم أود الابتعاد عن الحياة فى باريس لأرتمى فى أحضان الطبيعة العذراء فى الريف .. ويجب أن تعلم أننى اخترتك دون سائر الرجال لأنى شعرت بصدق حبك وإخلاصك لشخصى دون أن تبغى مقابلاً لذلك مثل الآخرين ، إننى أعتمد عليك فى الحصول على السعادة التى أنشدها من رحلتى إلى الريف ، فلا تكن بخيلاً وامنحنى حبك دون حساب لأن أيامى فى هذه الدنيا معدودة للغاية .



وفى السادسة صباحاً ودعتها وقبل أن أنصرف قلت لها :

- لقاؤنا مساء اليوم .

ولكنها لم تجب .

وبعد الظهر جاءتنى منها رسالة تقول فيها :

عزيزى إننى مريضة للغاية وقد أمرنى الطبيب بملازمة الفراش وبالتالى فلن أستطيع مقابلتك الليلة وسأنتظرك ظهر الغد .. أحبك .

ولكننى ما كدت انتهى من قراءة الرسالة حتى أدركت أنها تخوننى ، كان حبى لها طاغياً ، وقررت أن أبحث عنها ، وفى المساء بحثت عنها فى كافة المسارح دون جدوى .. وفى الساعة الحادية عشرة ذهبت إلى منزلها ولكننى وجدت الأنوار مطفأة وعندما قرعت الجرس أخبرنى البواب أنها مازالت فى الخارج .

وفكرت فى أن أدخل إلى شقتها بواسطة المفتاح الذى أحمله معى ولكننى

خشيت العواقب .

وأخذت أذرع الشارع جيئة وذهاباً وأنا أراقب بيتها حتى كانت الساعة الثانية عشرة عندما توقفت مركبة أمام البيت وهبط منها " الكونت دى جـ "، ولدهشتى وجدته يدخل إلى البيت .



وكانت تلك الليلة من أتعس الليالى التى مرت بحياتى على الإطلاق ، فقد شعرت فيها بعذاب الغيرة وألم الخيانة لأول مرة ، وما أشده من عذاب ، لقد استحال حبى لمرجريت إلى استياء ورغبة فى الانتقام منها ، وأدركت أننى منحت قلبى لمن لا تستحقه .. كيف تخدعنى بهذه البساطة والوقاحة ؟ !

وقررت أن أهجرها إلى الأبد وأن أكتب إليها رسالة شديدة اللهجة ثم أرحل إلى أبى وأختى ، وأخيراً كتبت إليها تلك الرسالة :

عزيزتى مرجريت :

" أرجو أن تكونى قد برئت من المرض الذى ألم بك بالأمس .. لقد ذهبت إلى منزلك وأخبرنى البواب أنك ما زلت بالخارج ، وبعد عدة دقائق حضر " الكونت دى جـ" . ودخل على الفور .

وداعاً ياعزيزتى .. وشكراً على اللحظات السعيدة التى قضيتها بصحبتك وقد كنت أود أن أودعك قبل سفرى إلى الأبد ولكن لا فائدة من ذلك ، وقد أعدت إليك مفتاحك حتى يمكنك استخدامه حينما ينتابك المرض كما حدث أمس ".

وأرسلت خادمي بالرسالة في الساعة الثامنة ، ورغم أنني لم أطلب منه أن ينتظر رداً إلا أنني كنت أرجو أن يعود بالرد .

وقضيت الدقائق التي انقضت بعد خروج الخادم في قلق شديد ، وبدأت أشعر بالندم على تلك الرسالة الوقحة وصرت أتمنى أن ترسل إلى بأى رد يبرر ما فعلته .

وأخيراً عاد الخادم وعلمت منه أنه وجدها نائمة فترك لها الرسالة ، وفكرت في إرساله مرة أخرى لاستعادة الرسالة قبل أن تستيقظ ولكنني عدلت عن ذلك على أمل أن يأتيني ردها .

وقضيت طيلة النهار في انتظار الرد دون جدوى حتى سئمت الانتظار وقررت الخروج لتناول الطعام على أجد رسالتها بعد أن أعود .

ولكنني لم أجد شيئاً وبدأت أشعر بالندم .

وفي المساء أخذت أبحث عنها في المسارح ، فذهبت إلى مسرح الباليه " رويال" حيث كانت تعرض مسرحية جديدة لأول مرة وأخذت أتطلع إلى الشرفات على أراها ولكن دون جدوى ، ذهبت إلى العديد من المسارح ولكنني لم أوفق في العثور عليها .

ترى هل آلمتها رسالتي فآثرت عدم مغادرة منزلها ، أم خشيت أن تلقاني بعد أن شعرت بخطئها وسوء تصرفها ؟

وبينما كنت في طريق عودتي التقيت بصديقي "جاستون " ومنه علمت أنه شاهد مرجريت في الأوبرا فسألته على الفور :

– وهل كان يصحبها أحد ؟

– نعم إحدى صديقاتها ، وقد حضر "الكونت دى جـ" .. لبضع دقائق ثم انصرف ، لقد تعجبت لعدم حضورك .

– ولماذا يجب على أن أحضر حيث تكون مرجريت ؟

– لأنها تحبك !

– وكيف علمت بذلك ؟

– من صديقتها "برودنس" التى التقيت بها بالأمس .. إننى أهنئك على هذه الحسناء الرائعة .

ليته قابلنى قبل أن أكتب رسالتى الوقحة !

وعدت إلى منزلى على أمل أن أجد رسالة منها ولكن دون جدوى .. وبدأت أشعر بأننى قد تسرعت بإرسال تلك الرسالة وبالتدخل فى شئونها إلى هذا الحد بعد أن تأكدت من حبها لى ورغبتها فى قضاء الصيف معى فى الريف دون أن تكلفنى سنتاً واحداً .. وخطر لى أن أذهب إلى "برودنس" بحجة الرغبة في وداعها قبل سفرى ، ولم أضيع الوقت فذهبت إليها مباشرة وحدثتها بما اعتزمته فقالت :

– هل تنوى أن تودع مرجريت؟

– كلا .

– هذا أفضل خاصة بعد أن قطعت علاقتك بها .

– هل أخبرتك مرجريت ؟

– نعم .. لقد أطلعتنى على رسالتك واتهمتك بإساءة الأدب ... إنها تحبك

ولا تفكر إلا فى شخصك وفى إسعادك بأى ثمن .

– ولماذا لم ترد على رسالتى ؟

– لأنها شعرت بطعنة شديدة فى صميم كبريائها ، ولا تنس أنك هجرتها بعد يومين فقط .

– ياإلهى .. وماذا أفعل ؟ هل أكتب إليها رسالة أسألها العفو ؟

وعلى الفور ذهبت إلى منزلى وكتبت إليها الرسالة التالية :

" من شخص نادم على ما كتبه بالأمس وسيرحل غداً إذا لم تصفحى عنه وتمنحيه فرصة للندم " .

وأرسلت خادمى بالرسالة إلى منزلها حيث تسلمت منه الرسالة ووعدت بأنها سترسل بردها إلىّ ، ولم أبرح البيت طيلة النهار فى انتظار ردها و دقت الساعة الحادية عشرة مساء وعندما يئست من الانتظار شرعت أحزم حقائبى استعداداً للرحيل .

وفى حوالى الثانية عشرة وجدت جرس الباب يرن بعنف فذهب الخادم ليفتح الباب وعاد ليخبرنى أن هناك سيدتين ترغبان فى مقابلتى ، فأسرعت إليهما حيث وجدت برودنس ومعها مرجريت التى جلست على أحد المقاعد فأسرعت إليها وقلت لها :

– أرجو أن تصفحى عنى .

– لقد صفحت عنك وسامحتك حتى ترحل عن باريس وأنت هادىء البال

– مرجريت .. هل تحبيننى حقاً ؟



– إننى أحبك حباً كبيراً .

– ولماذا تخدعيننى ؟

– يجب أن تدرك حقيقة الموقف .. إننى أفعل المستحيل حتى أخرج من المستنقع الذى سقطت فيه ، إننى مدينة بما يزيد عن أربعين ألف فرنك ... لقد آلمتنى رسالتك كثيراً ، لأننى أتمنى ألا أعرف أحداً سواك وسوف أفعل ذلك يوماً ما ولكننى لا أريد أن أحملك مالا تطيقه ، فلو أننى طلبت منك عشرين ألف فرنك فسوف تفعل المستحيل لتحصل عليها .. لا شك أننى إنسانة غريبة الأطوار لأننى أحببتك وفضلتك على أصحاب الجاه والمال .. لقد أحببتك منذ أن رأيت دموعك فوق يدى حزناً على ماأصابنى من مرض يمزق صدري .. كم كنت أتمنى ألا أتسلم رسالتك التى آلمتنى بشدة وأصابت قلبى فى الصميم .

أنت لا تعلم منزلتك لدى .. فأنت الإنسان الوحيد في العالم الذى أحبنى دون أن يطمع فى الحصول على مقابل حبه وإخلاصه .. حتى أصدقائى لا يمنحوننى صداقتهم إلا من أجل غرض أو مصلحة شخصية ولعلك ما زلت تذكر برودنس وهى تأخذ أربعمائة فرنك كقرض مقابل خدمة قامت بها وهو بالطبع قرض لن يرد .

كم كنت أحلم بهذا الإنسان الذى يعشقنى لذاتي ، وفى البداية وجدت الدوق ولكنه رجل عجوز محطم ولا يمكن أن أمنحه هذا الحب الكبير ، وعندها وجدتك أنت إنساناً مخلصاً لا تبحث عما يبحث عنه الآخرون .

فنهضت وقبلت يدها وقلت لها :

- أرجو أن تنسى أمر تلك الرسالة تماماً .

فأخرجت الرسالة من صدرها وقدمتها إلى وعلى الفور ألقيت بها فى الموقد

وبعد قليل كنا فى طريقنا إلى الخارج لتناول طعام العشاء بعد أن ردت إلى مرجريت مفتاح بيتها ونصحتنى ألا أضيعه مرة أخرى .

وقبل أن أغادر بيتى أمرت الخادم أن يخرج أمتعتى من الحقائب لأننى عدلت عن السفر .



فى أحضان الطبيعة

توثقت صلتى بمرجريت حتى أننى لم أعد أفارقها أبداً بينما أصبحت هى لا تطيق الابتعاد عنى يوماً واحداً وأخذت أعمل بكل ما فى وسعى لإخراجها من حياة اللهو والصخب وأجعلها تهتم بصحتها وطعامها ، وفى هذه الأثناء أهديتها رواية " مانون ليسكو ".

ورغماً عنى بدأت حياتى تتغير حيث كان على إجابة بعض مطالب مرجريت البسيطة والتى كلفتنى الكثير ، مثل دعوتها إلى المسارح وشراء الحلوى والزهور والقيام ببعض الرحلات الخلوية ، وفى هذه الأثناء لم يكن إيرادى السنوى يزيد عن ثمانية آلاف فرنك ، بالإضافة إلى أننى لم أكن أمارس أى عمل بعد حصولى على شهادة المحاماة .

كان لابد لى من البحث عن مورد للمال ، ولم أجد أمامى سوى المقامرة ، فاقترضت ستة آلاف فرنك لأقامر بها .. كنت شديد الحرص فلم أخسر وكنت أنسحب فى الوقت المناسب ، وكانت المقامرة هى الوسيلة الوحيدة ، التى وجدتها لشغل الوقت حتى يحين موعد لقائى بمحبوبتى .

وبدأت مرجريت تصغى إلى نصائحى وتنزل على إرادتى ، فأصبحت تهتم بصحتها وتنام فى مواعيد منتظمة وتبتعد عن اللهو والصخب وتميل إلى

الهدوء ، بل إنها قد أصبحت تقضى أياماً بطولها داخل البيت وهو مالم تفعله منذ أن عرفتها ، كما بدأت فى قراءة بعض الكتب والروايات .

وكانت النتيجة أن تحسنت صحتها كثيراً وكاد السعال يتوقف تماماً .

وبعد عدة أسابيع ذهب الكونت دى جـ .. بلا رجعة ولم يكن هناك من يزورها سوى الدوق والذى حرصت مرجريت على إخفاء علاقتنا عنه .

وقد كنت معتاداً على قضاء شهور الصيف مع أبى وأختى ، وها هو الصيف قد أقبل وكتب إلى أبى يدعونى إليه ولكننى أخذت أختلق الأعذار حتى أظل فى باريس .

وفى أحد الأيام المشرقة اقترحت مرجريت أن نذهب إلى الريف لقضاء يوم هادىء وسط الحقول ، واختارت الذهاب إلى " بوجيفال " .

وبعد ساعة ونصف كنت أنا ومرجريت وبرودنس فى حانة تسمى «حانة الفجر » تقع وسط منطقة رائعة الجمال .

وقد رأيت مرجريت وسط هذا الجمال الرائع وكأننى أراها من جديد،كان كل ما فيها رائعاً وجميلاً ، شعرت بأننى أملكها وحدى ولا ينازعنى فيها أحد وبدأت أشعر بالاطمئنان ولم أعد أرى فى مرجريت إلا فتاة طاهرة رقيقة وكأنها خلقت من جديد .

وبينما نحن نتجول بجوار النهر رأينا منزلاً رائعاً يقع على حافة إحدى الغابات تكسوه النباتات والأشجار والزهور ، كان منظره بديعاً للغاية فرحنا نتأمله أنا ومرجريت وكل منا يحلم بالعيش فيه ، فقالت مرجريت :

- آه ... ما أجمله .

قالت برودنس

- حقاً هل تودين الإقامة فيه ؟

بالتأكيد

- حسناً ... يمكنك مطالبة الدوق باستئجاره ولا أظنه سيرفض مثل هذا الطلب .

فقالت مرجريت تخاطبنى

- هل تسرك الإقامة فى هذا العش الجميل ؟

- بالطبع ... ولكن بإمكانى استئجاره

-كلا ... دعنى أدبر الأمر بنفسى .

وكان إيجار المنزل ألفى فرنك سنوياً



وفى اليوم التالى ذهبت مرجريت بصحبة الدوق إلى بوجيفال حيث وافق الدوق على استئجار البيت دون اعتراض ، وتمكنت كذلك من العثور على حجرة للإقامة فى حانة الفجر بالقرب من البيت . وفى الثامنة التقينا حيث زفت إلينا مرجريت هذه الأنباء الطيبة أنا وبرودنس التى سألتها

- هل حددت موعد سفرك إلى بوجيفال ؟

- سوف أرحل فى القريب العاجل وسأعهد إليك بتدبير شئون منزلى فى تلك الفترة

وبعد أسبوع تحقق الحلم الذى طال انتظاره فانتقلت مرجريت للإقامة فى البيت الجميل بينما نزلت أنا فى حجرتى بحانة الفجر وبدأنا أول أيام السعادة الحقة فى أحضان الطبيعة وبعيداً عن الصخب والضجيج فى باريس .

فى البداية كانت مرجريت تدعو إليها أصدقاءها لقضاء السهرات وتنفق بغير حساب اعتماداً على كرم الدوق الذى لم يرفض لها طلباً ، كما كنت أشارك بدورى فى بعض النفقات مما اضطرنى لاقتراض ستة آلاف فرنك ، ومن حسن الحظ أن مرجريت شعرت بضخامة نفقاتها وما تلقيه سهراتها من أعباء على كاهلى فعمدت إلى التقليل من تلك السهرات .

أما الدوق فقد تجنب زيارة مرجريت فى الأوقات التى يتواجد فيها أصدقاؤها ، ولكنه ذهب إليها فى أحد الأيام فى موعد الغذاء فوجدها تتناول طعام الإفطار مع أصدقائها الذين استقبلوه بعاصفة من الضحك والسخرية مما جعله ينصرف من البيت غاضباً رغم محاولات مرجريت لإرضائه ، ولم يعد إليها مرة أخرى فاضطرت إلى التوقف عن دعوة أصدقائها إلى بيتها كما قررت أن تجعلنى أقيم معها علانية ... وبعد عدة أيام أقبلت برودنس فأسرعت إليها مرجريت ودعتها إلى غرفتها ، ولم أستطع مقاومة فضولى فوقفت خارج الغرفة وأخذت أصغى للحوار الدا ئر بينهما حيث قالت برودنس :

– لقد قابلت الدوق وأخبرنى بأنه قد يصفح عن تلك الإهانة التى لحقته فى بيتك ولكنه لا يمكن أن يقبل بإقامة ارمان ديفال معك ، وإذا لم تهجريه فلن ينفق عليك بعد ذلك ... فعليك يامرجريت أن تفكرى جيداً وتعملى

بنصيحته إن ارمان لن يستطيع الإنفاق عليك ، وسيأتى اليوم الذى يفقد فيه حبه لك ويهجرك ، وعندها لن تجدى الدوق أو غيره وستفقدى كل شىء .. ويمكننى أن أتحدث إلى ارمان بنفسى إذا كان هذا يسبب لك بعض الحرج فما رأيك ؟

صمتت مرجريت قليلاً مما جعلنى فى غاية القلق والخوف ، وأخيراً قالت : —

– فليذهب الدوق بأمواله إلى الجحيم فلن أهجر ارمان مهما كان الثمن ، إننى لم أشعر بالسعادة إلا معه ولا يمكن بأى حال أن أبتعد عنه وأسبب له أى آلام من أجل شيخ عجوز ... وفى تلك اللحظة لم أستطع أن أتمالك شعورى ، فقد فتحت الباب واندفعت نحو مرجريت معانقاً ودموع السعادة تنهمر من عينى وقلت لها :

– إننى معك إلى الأبد ولن تكون هناك حاجة لاسترضاء هذا العجوز أو غيره ألا يكفيك حبى لك ؟

فقالت وهى تعانقنى :

– إن حبى لك يفوق الوصف ومن أجل هذا الحب سوف أغير كل شىء فى حياتى وأهجر كل ما من شأنه أن يذكرنى بالماضى وأجعل حياتى ملكاً لك وحدك .

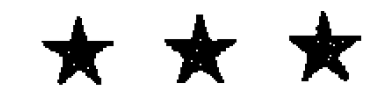


وبعدها تحولت مرجريت إلى امرأة أخرى تماماً ، فقد هجرت كل أصدقائها عدا برودنس وجوليا ديبار وتخلت عن عاداتها السابقة من

الإسراف وحب السهر والاستهتار وصارت شديدة الحرص على بيتها، وبدأت تحيا حياة غاية فى البساطة فأصبحت ترتدى ثياباً بسيطة ولكنها لا تخلو من الأناقة وتركض وتمرح وسط الأزهار كأنها طفلة بريئة .

وقد أرسل إليها الدوق عدة رسائل يرجوها فيها أن تسمح له بزيارتها ، ولكنها لم تقرأ أى رسالة بل كانت تدفع بها إلى دون أن تفضها ، ولا أنكر أننى شعرت بالإشفاق على هذا الدوق العجوز الذى كان يتألم بشدة ويرزح تحت آلام الوحدة .

وامتنع الدوق عن الكتابة إليها بعد أن يئس من تلقى أى رد منها .



كانت أيامنا في بوجيفال تمضى بسرعة كأنها لحظات من السعادة الخالصة والحب ، وفى بعض الأحيان كنت ألمح نظرة حزينة فى عيون مرجريت ، وفى إحدى المرات سألتها عن سبب ذلك فقالت :

– إننى أشعر بالسعادة الطاغية وبالحب الصادق الذى تمنحه لشخصى كما لم يفعل أحد من قبل وأخشى أن يضيع كل هذا فى غمضة عين فأعود إلى الأوحال التى غرقت فيها من قبل ، إننى أفضل الموت على تلك الحياة التى نسيتها تماماً ، فأرجو ألا تتخلى عنى يا ارمان .



واقترب الشتاء واقترحت على مرجريت أن نغادر هذا المكان إلى إيطاليا وقالت

– سوف أبيع كل ما أملك حتى نعيش هناك حياة هادئة كريمة حيث لا يعرفنى أحد ... فما رأيك ؟

– إننى أوافق ولكن لا أرضى أن تفرطى فيما تملكين من أشياء ثمينة قد تعود عليك بالفائدة يوماً ما ، ويمكننى تدبير نفقات إقامتنا فى إيطاليا .

– كلا يا ارمان كفاك ما تحملته من نفقات .

وخلال الأيام التالية كنت ألمح فى عينيها نظرات الحزن ولم أتوصل إلى معرفة علّة حزنها وهمها .

وخشيت أن تكون قد سئمت هذه الحياة الهادئة فى الريف فاقترحت عليها العودة إلى باريس ولكنها رفضت بشدة أن تتخلى عن السعادة التى شعرت بها لأول مرة فى بوجيفال .. وفى أحد الأيام وجدتها تكتب رسالة لبرودنس وشعرت أن لتلك الرسالة علاقة بحزنها .

وفى اليوم التالى قضينا طيلة النهار فى نزهة طويلة وعندما قالت لها الخادمة نانين :

– لقد حضرت برودنس وذهبت فى مركبتك ... وأخبرتنى أنها اتفقت معك على ذلك .

– نعم .. هيا أعدى لنا طعام العشاء .

وبعد يومين وصلتها رسالة من برودنس وشعرت أن أسباب حزنها قد زالت ، ولكننى تعجبت لمرور أسبوعين دون أن تعود برودنس بالمركبة فسألت مرجريت عنها فقالت :

– إن المركبة فى حاجة إلى الإصلاح . كما أننا لسنا فى حاجة إليها

الآن .

وبعد عدة أيام جاءت برودنس وأخذت تتبادل مع مرجريت حديثاً هامساً وفى المساء ارتدت معطف مرجريت الثمين بحجة البرد الشديد وانصرفت .

مر شهر ولم تعد المركبة ولم يرد المعطف وشعرت بالقلق فحاولت فتح أدراج مرجريت التى تحتفظ فيها بالرسائل ولكنها كانت مغلقة ، وعندما فتحت الدرج الذى تحتفظ فيه بعلبة مجوهراتها دهشت عندما وجدته خاوياً .

كدت أذهب إلى مرجريت لأستفسر عما يحدث ولكنى أيقنت أنها لن تذكر الحقيقة وقررت الذهاب إلى باريس لمقابلة برودنس ، فقلت لمرجريت :

– سوف أذهب إلى باريس لاستلام رسائل من أبى ، فلابد أنه يشعر بالقلق على فقالت :

– أرجوك أن تعود بسرعة .

وبمجرد وصولى إلى باريس ذهبت إلى برودنس فى بيتها وسألتها عن المركبة والمعطف والمجوهرات فعلمت منها أن المركبة والجياد والمعطف قد تم بيعها أما المجوهرات فقد رهنت ... فقلت لها :

– ولماذا لم تخبرينى بذلك ؟

– لقد حظرت مرجريت على أن أخبرك ...

– وماذا فعلت بهذا المال ؟

– سددت به بعضاً من ديونها ، إنها ما تزال مدينة بما يزيد على ثلاثين ألف فرنك .. لقد حذرتك من قبل ولكنك لم تصدقنى .. فقد رفض الدوق

سداد ديون مرجريت للدائنين الذين علموا بأنها تحب شاباً فقيراً فأسرعوا إليها للمطالبة بديونهم ... وبدأت مرجريت تبيع ممتلكاتها ولكنها لم تكن تكفى .. لقد رفضت بإصرار أن تخونك أو تفرط فى حبك ، فهل يمكنك تدبير ثلاثين ألف فرنك بأسرع وقت ممكن ؟

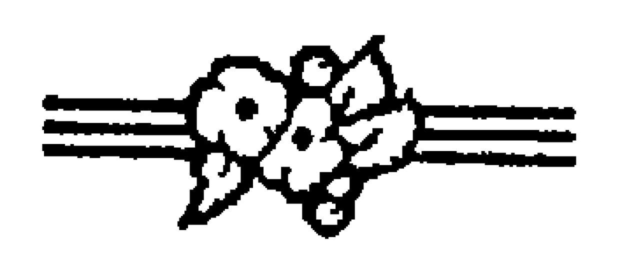
- سوف أفعل .

- لا شك أنك سوف تلجأ إلى الاقتراض ؟

- نعم .

وهكذا تقع فى أكبر الأخطاء وتنزلق إلى دوامة الديون بالإضافة إلى أنك قد تفشل فى العثور على من يقرضك هذا المبلغ الجسيم ، يجب أن تتصرف بحكمة ياعزيزى ارمان وتترك مرجريت تعالج الأمر .. إن الكونت دى نـ ... مستعد لسداد ديونها على الفور إذا رضيت بصداقته .. إن هذا هو السبيل الوحيد للخروج من المأزق الذى تتعرض له مرجريت ، ويكفيك الشهور السعيدة التى قضيتها معها فى الريف .

ولكننى رفضت نصائحها مشمئزاً ، فكيف أقبل إعادة مرجريت إلى طريق الخطيئة بعد أن أقسمت على أن تهجره إلى الأبد ؟ وانصرفت بعد أن وعدتها بأن أعمل على سداد تلك الديون .. وعندما ذهبت إلى منزلى وجدت أربع رسائل من أبى .



العاصفة

كانت رسائل أبى تفيض بمشاعر الخوف والقلق كما توقعت . نظراً لانقطاعى عن الكتابة إليه منذ فترة طويلة ، أما رسالته الأخيرة فكانت مختلفة حيث ألمح فيها عن علمه ببعض الأشياء الغير سارة والتى طرأت على حياتى وأنه سوف يأتي إلى باريس لمقابلتى .

وبمجرد انتهائى من قراءة الرسائل شرعت أكتب إليه الرد وأطمئنه وأرجو منه أن يحدد موعد وصوله إلى باريس حتى أكون فى استقباله وأوصيت خادمى أن يحمل إلى أى رسائل ترد من أبى إلى بوجيفال دون إبطاء .

وأسرعت عائداً إلى بوجيفال لأجد مرجريت فى غاية القلق وهى تنتظر فى الحديقة وعندما رأتنى ألقت بنفسها بين أحضانى وهى تقول:

– هل ذهبت إلى برودنس ؟

– كلا .

– لقد قضيت وقتاً طويلاً .

– كان من الضرورى أن أرد على رسائل أبى التى وجدتها .

وبعد قليل دخلت نانين يبدو عليها الإرهاق فأسرعت إليها مرجريت وانتحت بها جانباً وتبادلتا بعض الكلمات ثم عادت إلى وهى تقول :

– لماذا لم تخبرنى أنك ذهبت إلى برودنس ؟

– وكيف علمت بذلك ؟

– عن طريق نانين التى أرسلتها خلفك .. فقد أصابنى القلق لرحيلك المفاجىء إلى باريس بعد أربعة أشهر قضيناها سوياً دون أن نفترق لحظة واحدة فلماذا ذهبت إليها ؟

– حتى أطمئن عليها .

– كلا ... ليست هذه هى الحقيقة .

– حسناً لقد ذهبت إليها لأعرف أين ذهبت بالمركبة والجياد والمعطف والمجوهرات ؟

– وهل عرفت مصيرها ؟

– نعم .. لماذا لم تخبرينى بما تحتاجين إليه ؟

– كلا ياصديقى .. من المستحيل أن أطلب منك أموالاً حتى أحتفظ لنفسى ببعض من الكرامة ، إننى أخشى أن تظن أننى دبرت كل ذلك حتى أبتز أموالك رغم ثقتى الشديدة أنك تحبنى حباً صادقاً ، ولا تنس أن قيمة هذه الأشياء لا تساوى شيئاً بجانب حبى لك .

– ولكننى لا أرضى أن تفقدى أشياءك الخاصة حتى لا يأتى عليك اليوم الذى تندمين فيه على معاشرة رجل لا يستطيع إعطاءك ما تريدين من أموال

إننى سوف أفعل المستحيل حتى أرد إليك مركبتك ومجوهراتك واعلمى أننى أحبك فى بذخك وإسرافك أكثر مما أحبك فى بساطتك .

- لا تحاول خداعى ياصديقى ولا تظننى أفضل حياة البذخ والإسراف ، يجب أن تعلم أننى أحبك حباً طاهراً منزهاً عن كل غرض أو مطلب مادى ، ولا تظننى أكون سعيدة عندما أراك تلقى بنفسك إلى التهلكة وتستدين من أجلى ثم تعجز عن الإنفاق على بعد ذلك وتقبل ما أقدمه لك ؟ كلا ياصديقى إننى أفضل العيش معك بإيرادك عيشة كريمة ترفرف فوقها السعادة ، وقد قررت بيع مالا أحتاج إليه من متاع حتى نشترى بثمنه منزلاً هادئاً نعيش فيه سوياً .. لقد كنت أريد شراء هذا البيت وتدبير الأمر دون علمك ولكنك علمت فأرجو أن تجعلنى أنهى ما بدأته لنعيش فى سعادة إلى الأبد .

شعرت بدموع الحب تملأ عينى وأعلنت لها موافقتى .

وشعرت بمدى حبها لى وإخلاصها الشديد فقررت أن أتخذ من جانبى خطوة لمقابلة إخلاصها بمثله وذلك بالتنازل عن الإيراد الذى آل إلىَّ من والدتى إليها دون أن أخبرها بذلك .

وانتهزت فرصة ذهابنا إلى باريس أنا ومرجريت التى راحت تبحث عن منزل لنقيم فيه فذهبت إلى مسجل العقود - والذى كان صديقاً لوالدى - وأخبرته بما اعتزمته من التنازل عن إيرادى لمرجريت ، وأخبرته كذلك بحقيقه علاقتى بها ، فلم يعارضنى الرجل ، وطلبت منه أن يسرع فى إبرام العقد ، وألا يخبر أبى .

وعدت إلى مرجريت فى منزل جوليا ديبار وكانت قد نجحت فى العثور

على منزل ملائم لإقامتنا .

★ ★ ★

مر على عودتنا من باريس ثلاثة أيام ، وبينما كنت جالساً لتناول طعام الإفطار مع مرجريت أخبرتني نانين بأن خادمى يريد مقابلتى ، وعلمت منه أن والدى قد جاء إلى باريس وأنه ينتظرنى فى المنزل .

وشعر كل منا بالقلق والخوف المبهم ولكننى طمأنتها فقالت :

- أرجو أن تعود بسرعة وستجدنى أنتظرك بالنافذة

أسرعت إلى المنزل حيث وجدت أبى جالساً فى انتظارى وبمجرد أن نظرت إلى عينيه حتى شعرت أن العاصفة على وشك الهبوب .

صافحته بحرارة وقلت له :

- كنت أود أن أكون بالمنزل لأستقبلك وقت حضورك .

وكان أبى قد فرغ من كتابة رسالة فوضعها داخل مظروف وأمر خادمى بالذهاب لوضعها فى صندوق البريد ثم قال :

- لقد جئت لأتحدث معك فى أمر هام وأرجو أن تحدثنى بصراحة .

- ستجدنى صريحاً للغاية .

- لقد سمعت أنك تعاشر امرأة تدعى مرجريت جوتييه ؟

- إن هذا صحيح .

- وهل تعرف حقيقتها ؟

– إننى أعرف عنها كل شىء .

– هل تحبها إلى هذه الدرجة التى تجعلك تهمل زيارتى أنا وأختك خلال الصيف ؟

– إننى أحبها إلى أقصى درجة وأرجو أن تغفر لى إهمالى الشديد فى حقك وحق أختى .

– ولكننى لا أقبل أن تستمر علاقتك بهذه المرأة حتى لا تسىء إلىّ وتجلب العار على أسرتك .

– إننى لم أسىء إلى اسم العائلة ، فلم أنزلق إلى أيه حماقات أو أستدين من أحد ، إننى وجدت مع مرجريت السعادة والراحة .

– أية سعادة تلك التى يمكنك أن تحصل عليها مع امرأة مثل هذه ؟

– لقد تحولت مرجريت إلى امرأة أخرى تماماً وودعت الماضى إلى الأبد فلم أهجرها ؟

– سوف يأتى اليوم الذى تندم فيه على معرفة تلك المرأة ، يجب أن تفكر بعقلك وتضع مستقبلك أمام عينيك ، اتركها قبل أن تقضى عليك وتهجرك .. هل تفعل يا ارمان ؟

– ياأبى لقد بالغت كثيراً فى كيل الاتهامات لمرجريت التى لم ترتكب أيه أخطاء بل إنها الآن تعد مثالاً للنبل والكرم ، يكفى أنها لم تطالبنى بأيه نقود .

– وقبولها لنصيبك من ميراث أمك ألا يعد طمعاً فى مالك ؟

- وكيف علمت بذلك ؟

- لقد أخبرني مسجل العقود .. إن هذه هي ثروتك الوحيدة فلا تهدرها بهذه الصورة .

- إن مرجريت لا تعلم شيئاً عن هذا الأمر !

- ولماذا تفعل ذلك ؟

- لأنها ضحت بكل ما تملك من أجلي ومن أجل سعادتي !

- وكيف تقبل تضحية من امرأة كهذه ؟ هل فقدت كرامتك إلى هذا الحد ؟ هيا احزم حقائبك لترحل معي الآن .

- أرجو عفوك .. فإنني مضطر إلى عصيان أمرك ياأبي .

- سوف أتخذ ما أراه مناسباً من إجراءات .

ثم خرج وأغلق الباب بعنف متجهاً إلى أحد الفنادق وبعدها انطلقت إلى بوجيفال حيث وجدت مرجريت تنتظر في النافذة وهي شديدة القلق واللهفة وقالت وهي تعانقني :

- مالي أراك متجهماً ؟

فحدثتها بما جرى بيني وبين أبي فوجدتها ترتجف بشدة وبعد قليل قالت :

- إنني أفضل أن تهجرني على أن تغضب أباك ... ولكنني لا أرى سبباً لغضبه عليّ ، فقد أصبحت أحيا حياة شريفة هادئة لا تشوبها شائبة .

- لا عليك سوف نصمد لتلك العاصفة كما صمدنا من قبل .

– ولكن أباك لن يهدأ .. ترى ماذا سيفعل ؟

– لا أعلم .. ولكننى لا أنوي التخلي عنك مهما حدث ، وسوف يغفر لى أبى .

– يجب أن تعمل كل ما فى وسعك لإرضائه ، بل إننى أريدك أن تذهب إليه غداً وتطلب مغفرته ولا تظهر أنك متمسك بى أمامه .

وفى صباح اليوم التالى ذهبت إلى باريس وتوجهت إلى الفندق الذى ينزل فيه أبى ولكننى لم أجده فانتظرته حتى الساعة السادسة ولكنه لم يحضر ، ولم أجد بداً من العودة إلى بوجيفال ، ودهشت عندما لم أجدها تنتظرنى كعادتها بل رأيتها جالسة وقد غرقت فى تفكير عميق ، فاقتربت منها وقبلتها فقالت :

– هل قابلت والدك ؟

– كلا .. رغم أننى بحثت عنه فى كل مكان دون جدوى .

– يجب أن تذهب إليه غداً .. فلابد أن تثبت له إخلاصك وتحاول الحصول على عفوه .. وشعرت بالدهشة الشديدة بسبب شرود ذهنها وحزنها وعندما سألتها عن سبب ذلك قالت إن ذلك يرجع لما حدث بالأمس من والدى .

وأصرت فى اليوم التالى على أن أذهب لمقابلة أبى مبكراً .

فذهبت إلى الفندق حيث وجدته قد كتب إلى يقول (انتظر حتى الساعة الرابعة ، وإذا لم أحضر فأرجو أن تعود فى الغد لمقابلتى وقت الغداء).

ولما دقت الساعة الرابعة ولم يحضر قررت العودة إلى "بوجيفال" ، وقد

وجدت أن مرجريت قد ازدادت حزناً واضطراباً عن الأمس ، وعندما رأتنى طوقتنى بذراعيها وأخذت تبكى ، وراحت تهرب من أسئلتى وتجيبنى بإجابات غير واضحة مما ضاعف من قلقى عليها وقلت لها :

- يبدو أن أبى قد بدأ يغفر لى .

ولكنها ازدادت حزناً وسالت دموعها بغزارة ، فذهبت بها إلى فراشها وجلست بجانبها وسألت الخادمة عما يكون قد حدث أثناء غيابى فأخبرتنى أن شيئاً لم يحدث ورغم ذلك فقد كنت واثقاً من حدوث شيء ما .

وخلال الليل لم تفارقنى رغم حزنها الشديد .. وقرب الفجر غلبها النعاس .

وفى الحادية عشرة استيقظت من نومها وقالت :

- هل ستذهب الآن ؟ إن الوقت ما يزال مبكراً .

- سوف أذهب فى الساعة الرابعة .

- أرجو أن تبقى بجانبى طيلة هذا الوقت .

- لن أفارقك لحظة ، وسوف أعود إليك سريعاً .

- هل ستعود حقاً ؟ وتعيش معى فى سعادة وهناء ؟

- ما هذا يا مرجريت ؟ يبدو أنك مريضة ولن أذهب إلى أبى ما دمت بهذه الحالة .

- كلا يا ارمان .. يجب أن تذهب إليه .. إننى فى أحسن حال وكل ما فى الأمر أننى فى حاجة إلى النوم .

وعندما حان وقت الرحيل جاءت معى لتصحبنى إلى المحطة وحتى آخر لحظة كنت أفكر فى العدول عن السفر ولكنى خشيت من غضب أبى .

وعندما تحرك القطار قلت لها :

- إلى الملتقى فى المساء .

ولكنها لم تجب : وتذكرت موقفها ليلة أن منعنى البواب من دخول بيتها بينما سمح للكونت دى جـ .. بالدخول ، ولكننى سرعان ما طردت هذا الخاطر عن ذهنى ، فقد انقضى ذلك العهد وأصبحت مرجريت امرأة أخرى تماماً .

وبمجرد وصولى إلى باريس ذهبت إلى برودنس لكى أطلب منها سرعة الذهاب إلى مرجريت لتكون بجانبها حتى أعود إليها ، ولكنها اعتذرت لارتباطها بموعد فى المساء ووعدت بالذهاب قريباً وكانت مرتبكة قليلاً ثم ذهبت إلى الفندق حيث وجدت أبى فى انتظارى وعلى وجهه دلائل الرضا ، فصافحنى قائلاً :

يسعدنى أنك بحثت عنى يا ارمان ، وقد فكرت فى الأمر ورأيت أننى كنت مبالغاً فى الأمر وإن مرجريت ليست بهذا السوء .

- إننى فى غاية السعادة لذلك ياأبى .. إنك لا تعلم كم أحبها .

وشعر بشدة قلقى عليها ولهفتى على الذهاب إليها فرافقته إلى المحطة وفى الطريق قال لى :

- ألا تبقى معى إلى الغد .. ولكننى اعتذرت .



الثمن الباهظ

وصلت إلى "بوجيفال" فى الحادية عشرة مساء وأنا فى غاية الشوق للقاء مرجريت .. ولكننى دهشت للغاية عندما وجدت البيت يسبح فى الظلام ، فأسرعت إلى الباب وأخذت أقرعه حتى جاءت نانين وفتحت الباب وعلى الفور سألتها :

– أين مرجريت ؟

– لقد ذهبت إلى باريس بعد رحيلك بقليل !

– ألم تترك لى رسالة ؟

– كلا .

– ألا تعلمين لماذا ذهبت إلى باريس ؟

– كلا لا أعلم شيئاً يا سيدى .

وخشيت أن يكون هناك مكروه ما قد أصابها فأسرعت إلى باريس .. وهنا تذكرت ارتباك برودنس عندما التقيت بها صباح اليوم وكأنها كانت تتوقع حضور مرجريت اليوم .. هل كانتا على موعد ؟

وتذكرت غرابة أطوار مرجريت خلال الليلة الأخيرة وبكاءها وحزنها

العميق دون سبب معقول !

وطردت عن ذهنى الأفكار السوداء حينما تخيلت أنها يمكن أن تخوننى ، ولابد أنها ستعود حالاً .

ولأول مرة أذوق مرارة الانتظار وأدرك عذاب الدقائق فى انتظار المخلوقة التى أحبها أكثر من روحى ، ولكن الساعات مرت دون أن تعود مرجريت ، وشعرت بالقلق الرهيب يعصف بى خشية أن يكون قد نزل بها أى مكروه بعد أن دقت الساعة الواحدة صباحا .

وقررت أن أنتظرها ساعة أخرى ثم أذهب لأبحث عنها فى باريس ، فتناولت قصة « مانون ليسكو » وأخذت أتصفحها فرأيت بها آثار الدموع ، ومن الطبيعى أننى لم أستطع قراءة كلمة واحدة فتركت الرواية وأخذت أرقب الطريق وأنصت لعلى أسمع صوت مركبة قادمة على الطريق ، ولكن دون جدوى .

وحينما دقت الساعة الثانية ذهبت إلى نانين وأخبرتها بأننى ذاهب إلى باريس للبحث عن سيدتها فقالت :

– هل تبحث عنها فى مثل هذه الساعة ؟

– نعم

– ولكن لا توجد مركبة تحملك إلى هناك ؟

– لست فى حاجة إلى مركبة .. سأذهب سيراً على الأقدام .

لقد كنت فى حاجة إلى السير الطويل للتغلب على القلق الشديد الذى

ينتابني .. فارتديت معطفي وأخذت مفتاح بيت مرجريت بشارع دانتان ، وأخذت أعدو خلال الظلام الدامي حتى شعرت بالإجهاد الشديد فأبطأت قليلاً وعندما وجدت إحدى المركبات تقطع الطريق بسرعة هتفت : مرجريت مرجريت .

ولكن المركبة لم تتوقف ومضت في طريقها .وقرب الفجر وصلت إلى باريس التي كانت مغلفة بالظلام وكأنها مدينة للأموات ، وقصدت إلى شارع دانتان ولم أحاول أن أسأل البواب عن مرجريت خشية أن يقول إنها ليست بالمنزل فأسرعت إلى شقتها وفتحت الباب ودخلت حيث وجدت النوافذ مغلقة والستائر مسدلة فأخذت أبحث عنها في جميع الغرف دون جدوى ، وجن جنوني ، فعدت إلى البواب وسألته :

- هل رأيت مرجريت اليوم ؟

- نعم .. لقد جاءت بصحبة مدام برودنس ثم انصرفتا معاً .

- ألم تترك رسالة ؟

- كلا .

فازداد جنوني وأسرعت إلى بيت برودنس حيث سألت عنها البواب فأخبرني أنها لم تعد بعد وأن معه رسالة يود أن يسلمها إليها .. وعندما نظرت إلى غلاف الرسالة وجدت عليها خط مرجريت فتناولتها منه وقرأت (مدام برودنس لتسليمها إلى ارمان ديفال) .

فقلت للبواب :

- إن هذه الرسالة لي .

وتذكر الرجل أنه شاهدنى مراراً فترك لى الرسالة ، وما أن ابتعدت عن المنزل حتى فضضتها وتلقيت الصدمة الرهيبة .

حيث كتبت مرجريت تقول :

" فى الوقت الذى تتسلم فيه هذه الرسالة أكون قد أصبحت عشيقة رجل آخر .. أرجوك أن تعود إلى أبيك فقد انتهى كل شىء .. إن حب أبيك وأختك العذراء الطاهرة سوف ينسيك ما عانيته على يد امرأة تعيسة اسمها مرجريت جوتييه لم تعرف السعادة إلا فى أيام قلائل قضتها بصحبتك " .

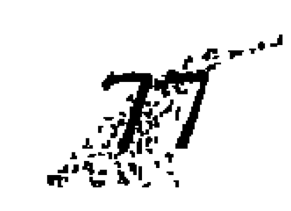
لا يمكن أن أنجح فى وصف تلك الكارثة المروعة التى نزلت علىّ كالصاعقة كدت أن أسقط مغشياً علىّ .. ، شعرت أننى بحاجة إلى من يقف بجانبى وتذكرت والدى الذى ما زال بالفندق .

وأخذت أعدو حتى وصلت إليه فنظر إلى بهدوء وكأنه كان يتوقع حضورى أعطيته رسالة مرجريت وألقيت بنفسى بين ساعديه وأخذت أبكى بكاء مريراً .

★ ★ ★

انقضى شهر وأنا أقيم مع أبى وأختى ورغم ذلك فلم أشعر بأى تغير فى مشاعرى تجاه مرجريت ، كان من المستحيل أن أنساها أو أنسى خدعتها القاتلة ، وتملكتنى رغبة شديدة فى رؤيتها لآخر مرة ، وصارحت أبى برغبتى فى السفر إلى باريس لقضاء بعض شئونى والعودة بسرعة فلم يشأ معارضتى وسمح لى بالذهاب بشرط أن أعود بسرعة .

وبمجرد أن وصلت إلى باريس حتى ذهبت إلى الشانزليزيه وانتظرت



مركبة مرجريت ، وبعد قليل أقبلت المركبة .. نفس المركبة التي كانت معها من قبل .. ورأيت مرجريت تقترب منها ومعها فتاة شقراء زرقاء العينين طويلة القامة ، وما كادت مرجريت تراني حتى امتقع وجهها ، ثم تمالكت نفسها حتى ابتعدت المركبة .

وقررت أن أتظاهر بقلة الاكتراث حتى أغيظها ، فلابد أنها الآن في غاية الدهشة والقلق بسبب ظهوري المفاجيء بعد أن ظنت أنني رحلت إلى الأبد فذهبت الى بيت برودنس ، وما كدت أجلس حتى سمعت صوت خطوات بالخارج ثم فتح الباب الخارجي وأغلق فقالت برودنس :

– لقد كانت مرجريت هنا وما كادت تعلم أنك هنا حتى أسرعت بالهرب .

– ولماذا تهرب ؟

– حتى لا تثور أعصابك عندما تراها .

فتظاهرت بقلة الاكتراث وقلت لها :

ـ لقد فعلت ما كان يجب عليها فعله وبذلك استطاعت استرداد مركبتها وانقاذ مجوهراتها من الضياع ، وقد قابلتها اليوم وبصحبتها فتاة رائعة الجمال .

– إنها فتاة تدعى اوليمبيا .. وهي تعيش بمفردها حالياً .

– وأين تقيم ؟

– هل تريد التعرف عليها ؟ هل نسيت مرجريت ؟

– لقد طعنتني مرجريت طعنة قاتلة وحطمت قلبي الذي أحبها حباً صادقاً

– إن مرجريت أحبتك حباً مخلصاً ومازالت تحبك ، وكانت واثقة من مجيئك اليوم وهى تريدك أن تصفح عنها .

– لقد فعلت ما هو متوقع من امرأة مثلها .

– إنك لا تعلم الظروف القاسية التى دفعتها إلى هجرك .

– المال .. لا شىء سوى المال ، ترى من الذى دفع ديونها ؟

– الكونت دى ذ .. الذى منحها عشرين ألف فرنك رغم أنه يعلم أنها لا تحبه .. إنها تتعذب أشد العذاب وقد تدهورت صحتها تدهوراً مخيفاً حتى أنها لا تنام على الإطلاق .



وبعد أن تركت برودنس شعرت برغبة شديدة فى الانتقام من مرجريت التى لم أعد أراها إلا امرأة وضيعة لا يمكنها العيش بدون بذخ ولهو وعبث ، وأخذت أفكر فى أفضل الوسائل للانتقام منها وتعذيبها .

وأخيراً اهتديت إلى تلك الوسيلة وهى صديقتها اوليمبيا ، حيث علمت أنها سوف تقيم حفلاً راقصاً بمنزلها فى باريس ونجحت فى الحصول على إحدى بطاقات الدعوة .

وفى الحفل وجدت الكونت دى ذ .. وهو يراقص مرجريت وهو فى غاية الغرور والصلف ، أما مرجريت فقد أجفلت عندما رأتنى فابتسمت إليها بهدوء .

وبدأت فى تنفيذ خطتى للانتقام ، فاقتربت من اوليمبيا ودعوتها إلى

مراقصتى وقررت أن اتخذها عشيقة لى نكاية فى مرجريت التى شحب وجهها وصارت ترمقنى بنظرات حزينة تفيض بالألم والشقاء .

وسرنى كثيراً شقاء مرجريت وتعاستها ، وبعد العشاء اشتركت فى المقامرة دون اكتراث ولكننى ربحت الكثير جداً بينما خسرت أوليمبيا كل ما معها وراحت تنظر بجشع إلى النقود الذهبية التى أمامى بعد أن توقفت عن اللعب فأعطيتها بعضاً منها وبعد أن انصرف المدعوون اقتربت من اوليمبيا وقلت لها :

- إننى أريد أن أتحدث إليك الآن ؟

- ماذا تريد ؟

- هل خسرت كل ما كان معك ؟

- نعم .

- إننى على استعداد للتنازل عن كل ما ربحته الليلة لك إذا رضيت بالبقاء معى !

- ولماذا ؟

- لاننى أحبك .

- إنك لا تحبنى .. إنك تحب مرجريت وتريد الانتقام منها بواسطتى .. كلا لا أقبل خيانة صديقتى المسكينة .

- لا يمكنك رفض هذا المبلغ الجسيم ، وبالإضافة إلى ذلك ماذا يمنعنى من أن أحب فتاة رائعة الجمال مثلك ؟

وكان من الطبيعى أن توافق اوليمبيا ورغم ذلك شعرت بالنفور والضيق الشديد منها .

وبدأت انتقم من مرجريت ، فأهديت أوليمبيا مركبة وجياداً ومجوهرات ، وأخذت أوجه الكثير من الإهانات المؤلمة لمرجريت التى كثيراً ما كانت تنظر إلىّ مستعطفة أن أكف عن ذلك ، وفى تلك اللحظات كان ينتابنى شعور بالخجل من نفسى وبالرغبة فى البكاء بين يديها ، ولكن هذا الشعور سرعان ما كان يزول لتحل محله مشاعر الغضب والرغبة فى الانتقام .

أما اوليمبيا فقد راحت تتحرش بمرجريت وتكيل لها الشتائم والإهانات القاسية .

ولذلك فقد كفت المسكينة عن الذهاب إلى المسارح والملاهى خشية أن تقابلنا ، وكنت أرجو أن تثور مرجريت لمرة واحدة ولكنها كانت هادئة دائماً لا تقابل الإساءة بمثلها ، حتى كان يوماً جاءت فيه اوليمبيا تخبرنى أنها التقت بمرجريت التى وجهت اليها الشتائم والإهانات ومن المؤكد أن مرجريت كانت تدافع عن نفسها لأول مرة ، وأصرت اوليمبيا على أن أكتب رسالة إلى مرجريت أوبخها فيها وأطلب منها احترام المرأة التى أحبها .

وبالفعل كتبت تلك الرسالة التى ضمنتها كثيراً من العبارات اللاذعة والبذيئة وكانت صفعة قاسية لمرجريت المسكينة لم تستطع تحملها فأرسلت إلى برودنس التي رأيتها فى غاية التأثر والألم لأول مرة منذ أن عرفتها فقالت :

– ما الذي تفعله ؟ لقد حطمت مرجريت المسكينة التي لم يعد

باستطاعتها أن تتحمل المزيد من هذه الإهانات وهى ترجوك أن تكف عن ذلك .

فقلت :

– إنها أهانت المرأة التى أحبها .

– إن هذا لا يعد مبرراً كافياً لما فعلته بها ، ويكفى أنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، ويجب أن تعلم أن حالتها الصحية فى غاية السوء وأنها لن تعيش طويلاً لم لا تأتى لزيارتها ؟

– لأننى لا أحب مقابلة رجل آخر فى بيتها .. ويمكنها الحضور إلى منزلى إذا أرادت .

– ولكننى أخشى أن تعاملها بقسوة .

– كلا .. لن أفعل ذلك .

وخرجت برودنس وتركتنى وأنا فى غاية القلق والاضطراب ولم أكلف نفسى عناء الكتابة إلى اوليمبيا لأعتذر إليها ، كنت أتوقع حضور مرجريت وأترقب اللحظة التى أراها فيها بلهفة شديدة ، ولما حانت الساعة التاسعة دق الجرس ودخلت مرجريت .. وماكدت أنظر إلى وجهها حتى هالنى شحوبها الشديد .. وقالت :

– علمت أنك تود أن تراني فجئت إليك .

ثم غطت وجهها بكفيها وأخذت تبكى .. فقلت لها :

– ماذا يبكيك ؟

فأمسكت بيدى دون أن تجيب .. وبعد قليل قالت :

– لماذا تتعمد إلحاق الأذى بى رغم أننى كنت شديدة الحرص عليك ياارمان ؟

– لقد فعلت بى الكثير يامرجريت .

– كانت الظروف أقوى من إرادتى .. لقد جئت أطلب منك شيئين ، أولهما أن تصفح عنى لما بدر منى نحو اوليمبيا وثانيهما أن تتركنى وشأنى ولا تتمادى فى إهانتى وتعذيبى ، فلم أعد أستطيع تحمل أكثر من ذلك .. لقد تركت فراش المرض لأسألك الكف عن إهانتى ... يمكنك أن تلمس يدى لتدرك أننى أعانى من الحمى وأتألم بشدة .

فأمسكت يدها فوجدتها ملتهبة وجسدها يرتجف بشدة .. شعرت بأننى ما زلت أحبها كما أحببتها من قبل وأن بإمكانى نسيان كل ما حدث منها .. فقلت لها :

– تقولين أنك تتألمين وتعانين كثيراً .. فهل تعتقدين أننى لم أتألم ولم يذهب عقلى عندما عدت إلى المنزل ولم أجدك ؟ وهل تعلمين ماذا فعلت بى رسالتك لقد خدعتنى يا مرجريت رغم أنك تعلمين مقدار حبى لك .

– ليس هذا الوقت المناسب للحديث عما ارتكبته من أخطاء ، لقد جئت لأودعك ويمكنك أن تنسانى لتعيش فى سعادة مع صديقتك الحسناء .

– وأنت لم لا تعيشين فى سعادة يامرجريت ؟

– سوف يأتى اليوم الذى تعرف فيه حقيقة تلك الظروف التى أرغمتنى على الابتعاد عنك .

– إننى أريد أن أعرف الحقيقة الآن

– إن هذا لن يجعلنا سعداء بل سيجعلك تمقت أشخاصاً يجب عليك أن تحبهم !

– ومن هم هؤلاء الاشخاص ؟ !

– لا يمكنننى ان أذكرهم لك !

– لاشك فى أنك كاذبة .

وهنا نهضت من مقعدها فى صمت وعيناها تفيض بالحزن والأسى واتجهت صوب الباب ، ولكننى منعتها من الخروج وقلت لها :

– لن أدعك تذهبى .

– لماذا ؟

– لاننى مازلت أحبك رغم كل ما بدر منك إننى على استعداد لنسيان كل شىء .

– كلا يا صديقى لقد كتب علينا الفراق ، ولكن بامكانك أن ترانى كلما أردت ذلك .

وهكذا بقيت مرجريت وقضينا ليلة رائعة ، وعند الفجر استيقظت لأجد مرجريت تبكى فقلت لها :

– هيا نبتعد عن باريس .

فقالت :

كلا .. إن هذا ليس فى استطاعتى فلا تحاول أن تربط بين مستقبلك

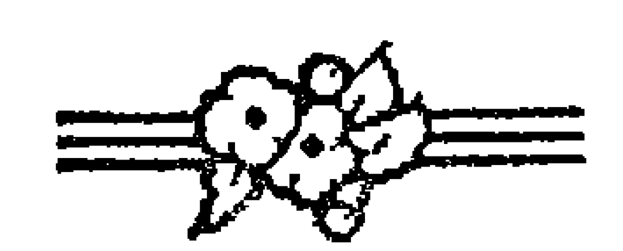
ومستقبلى حتى لا تجلب على نفسك الشقاء والتعاسة وكما أجدك يمكنك أن تجدنى كلما شعرت بالحاجة إلىّ .

وبعد ذهابها وجدتنى أفكر فيها لعدة ساعات ، وفى الخامسة مساء ذهبت إلى منزلها فى شارع دانتان ولكن نانين منعتنى من الدخول لأن الكونت دى ذ .. بالمنزل ، فأنصرفت وقد عاد حقدى وغضبى أشد مما كان وقلت لنفسى إنها تعبث بى وتسخر منى فوضعت ورقة مالية من فئة الخمسمائة فرنك فى مظروف ومعها هذه العبارة « لقد نسيت أن أعطيك أجرك » وأرسلته إليها على عنوانها :

وفى المساء جاء إلىّ غلام برسالة لم أجد بها سوى الورقة المالية وعندما سألته عمن أعطاه تلك الرسالة أخبرنى أن سيدة أعطتها إياه قبل أن يتحرك القطار الذى تستقله .

وعلى الفور أسرعت إلى بيت مرجريت ولكن البواب أخبرنى أنها رحلت إلى انجلترا فى السادسة مساء .

وعندها شعرت بالفراغ الرهيب وقررت الرحيل عن فرنسا فى رحلة إلى الشرق بصحبة أحد الأصدقاء ، عدت إلى فرنسا ولكن بعد فوات الأوان ويمكنك أن تطالع مذكرات مرجريت التى تركتها لدى جوليا ديبار لتعرف النهاية الأليمة لمأساتها وكنت خلال رحلتى قد التقيت بأحد الأصدقاء الذى أخبرنى بمرض مرجريت .





النهاية الأليمة

وفيما يلى مذكرات مرجريت .

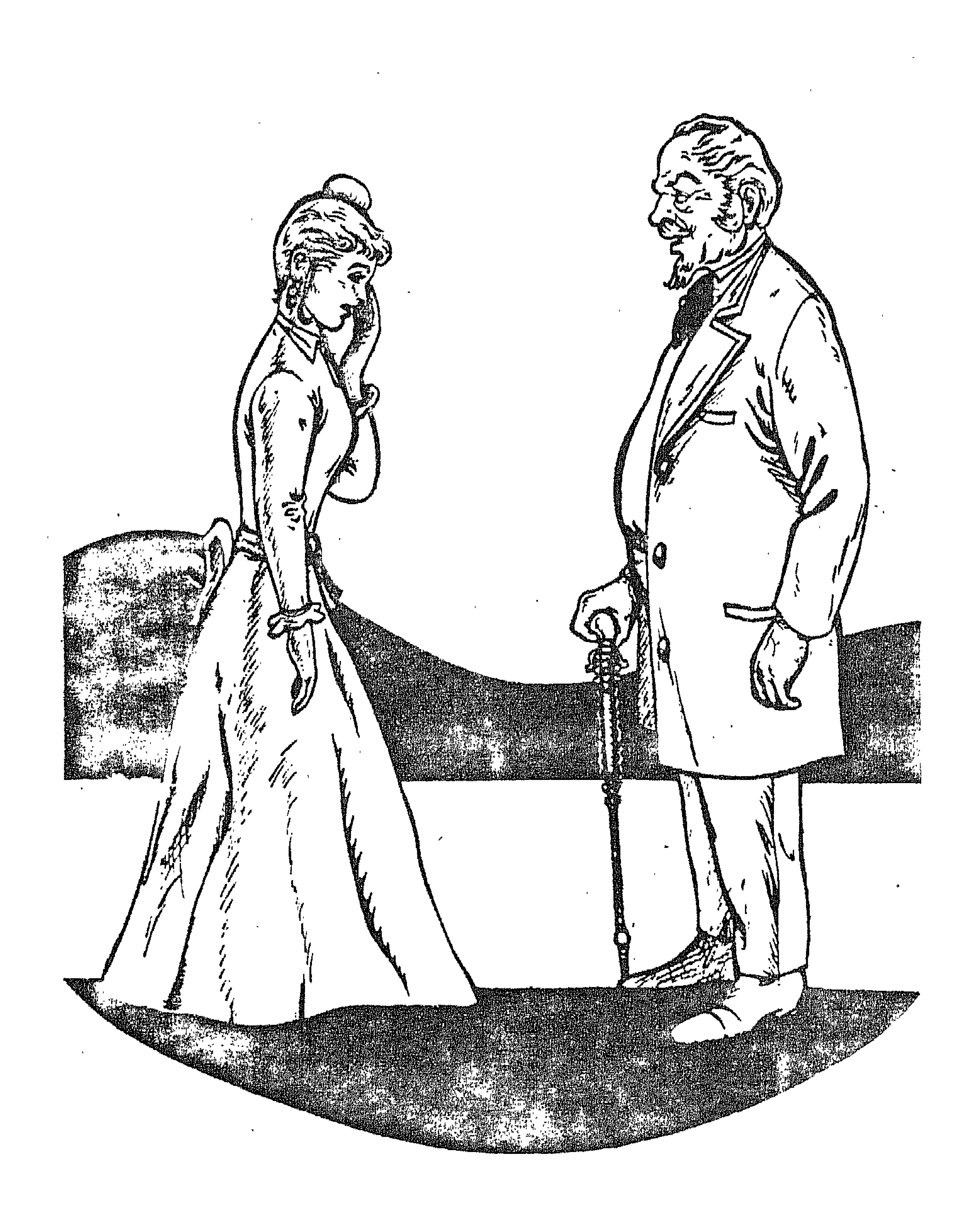
" اليوم الخامس عشر من ديسمبر "

لا أحد بجانبى وقد اشتد بى المرض وألزمنى الفراش .. أفكر فيك ياارمان .. أين أنت ؟

لقد علمت أنك بعيد عن باريس ، ويبدو أنك نسيت مرجريت .. ورغم ذلك فإننى أتمنى أن تكون سعيداً كما أسعدتنى لأول وآخر مرة فى حياتى .

إننى الآن مريضة واقترب من الموت بسرعة ، فقد ماتت أمى بنفس المرض وهو السل الرئوى ، وبالتالى لا أجد غضاضة فى كشف الستار عن الدوافع التى حدت بى إلى هجرك وكتابة تلك الرسالة المؤلمة إليك ، وذلك حتى تعرف الحقيقة وتدرك أننى لست بهذا السوء الذى تصورته .. لقد كانت البداية عندما حضر أبوك فجأة وشعرنا بالقلق والتوتر دون سبب واضح لذلك ، وشعرت بنذر الخطر عندما علمت نتيجة مقابلته معك .

وفى اليوم التالى عندما كنت أنت فى باريس جاءتنى رسالة من أبيك يتوسل إلى أن أبعدك عن المنزل فى اليوم التالى بأى طريقة ممكنة .



وسوف تجد هذه الرسالة هنا ـ لأنه ينوى الحضور لكى يتحدث إلىّ ، ولذلك فقد ألححت عليك أن تبادر بالذهاب إلى باريس فى اليوم التالى .

وجاء أبوك بوجهه العابس المتجهم ، وشعرت أنه مشمئز من مقابلة امرأة مثلى ، وراح يعاملنى بترفع وكبرياء مما اضطرنى إلى أن اذكره أنه فى بيتى وأنه لا يملك أن يحاسبنى على ما أفعل .. فقال إنه يخشى أن أحطم مستقبل ابنه وأغريه على التفريط فيما يمتلك من أجلى ، وهنا صارحته بما ضحيت به للاحتفاظ بك دون أن أحملك شيئاً من الأعباء ، وجعلته يطلع على وثائق الرهن والبيع لممتلكاتى ، وحدثته عن آمالنا وأحلامنا فى المستقبل ، وهنا انبسطت أساريره وأخذ يحدثنى بلهجة الضراعة والرجاء قائلاً :

– إذن فأنت قادرة على التضحية من أجل ارمان .. إن علينا أن نضحى بالكثير من أجل من نحبهم إذا كان فى ذلك ضرورة لحياتهم ومستقبلهم ، إنك تحبين ارمان بصدق وتملكين قلباً كبيراً ، وعليك أن تضعى فى اعتبارك مستقبل تلك العلاقة التى تربط بينك وبين ارمان ، فإن سنوات الحب سوف تنتهى حتماً وسيجد ارمان نفسه فى حاجة إلى زوجة وحياة محترمة تليق بمركزه ، وبالإضافة إلى ذلك فإنه لا يملك شيئاً سوى نصيبه فى ميراث أمه الذى أراد أن يتنازل عنه إليك ، ولكنه لن يكفى وسيضطر لقبول ما تقدمينه إليه وبذلك يفقد احترامه أمام نفسه وأمام الناس ولابد أن يندم أشد الندم وأنت أيضاً .. ولكن بعد فوات الأوان ، بعد أن يكون مستقبل ارمان قد ضاع ، وارتباطه بأسرته قد انفصم وأيضاً يكون جمالك قد ذبل .

لقد نسينى ارمان منذ أن عرفك ولم يرد على أربع رسائل أرسلتها إليه ، وكان من الممكن أن أموت خلال هذه الفترة دون أن يعلم بموتى .

ويجب أن تعلمى أن علاقتك به سوف تجلب عليكما الشر والخراب ، فارمان لن يستطيع الحياة بهذه الطريقة التى يحياها معك بعد أن يفقد ثروته ولابد أنه سيلجأ إلى المقامرة كما كان يفعل فى الأيام الماضية دون أن يخبرك ولابد أنه سيتورط فى الديون وربما طلب منى أن أنقذ شرفه ويضطرنى للتضحية بما أملك من مال أدخره لشيخوخته وليكون مهراً لأخته .

أما أنت فهل ستظلين وفية مخلصة لارمان إلى الأبد ؟ ألن تعودى إلى حياتك السابقة مرة ثانية ؟ يجب أن تضعى كل ذلك فى اعتبارك وتتخذى القرار السليم الذى يحفظ لارمان كرامته ولا يهدد مستقبله .. وهناك نقطة هامة للغاية وهى ابنتى الطاهرة التى توشك على الزواج من شاب نبيل ذى أصل طيب تتوقع أسرته مصاهرة أسرة مثلها كريمة نبيلة لأنهم عندما علموا بأمر أرمان هددوا بفصم علاقتهم بنا مالم ينه أرمان ارتباطه بك .

فها أنت ترين أن سعادة ابنتى ومستقبل ابنى بين يديك يامرجريت .

وعندها بكيت ياارمان ، فقد تذكرت تعاستى وعادت الحقيقة تصفع وجهى وتردنى إلى الماضى الذى تمنيت أن أهجره وقلت لنفسى : ما أنا إلا غانية لاحق لها فى العيش الكريم أو المستقبل السعيد ، وحركت كلمات أبيك مشاعرى الكامنة وقررت التضحية بسعادتى من أجله ومن أجل ابنته فقلت له :

– هل تعتقد أننى أحب ابنك إلى تلك الدرجة التى تجعلنى أضحى من أجله ؟

- نعم .

- حسناً.. أرجوك أن تقبلني حيث ستجعلني تلك القبلة الطاهرة قادرة على مواجهة هذا الموقف الصعب ، وأعدك بأن يعود إليك ارمان قبل أسبوع وهو يلعنني من قلبه .

فقبل جبيني وقال :

- يالك من فتاة نبيلة .

ثم كتبت رسالة إلى برودنس أطلب منها أن تخبر الكونت دى ذ . أنني قبلت عرضه وأنني سأكون عنده في المساء وأرسلت الرسالة مع أبيك .

ولكنني لم أستطع أن أتمالك نفسي عندما رأيتك ولعلك تذكر ما كنت أكابده من آلام رهيبة في ساعات الفراق ، وكدت أضعف أمامك وأخبرك بالحقيقة حتى لا تحتقرني ولكنني كنت أتذكر وعدى لوالدك ولن أستطيع وصف الألم الذى شعرت به عندما رأيت الكونت دى ذ .

وهكذا بدأت رحلتي مع العذاب والآلام ، خاصة بعد أن رأيتك تعود إلى باريس مرة أخرى ، وكنت أدرك أنك لن تستسيغ الحياة بعيداً عني ، وكنت كلما قسوت عليّ شعرت أنني سأزداد سمواً في نظرك عندما تعرف الحقيقة يوماً ما .

وكان من الضرورى أن أسرف في الشراب والسهر لكى أقتل نفسي ولا أفكر فيك .. ولأنسى تلك الإهانة القاسية التي وجهتها إليّ بعد آخر مقابلة لنا حيث جئتك أطلب صفحك وغفرانك ، مما اضطرني إلى ترك باريس والرحيل إلى لندن حيث قضيت هناك أياماً في غاية السوء عدت بعدها إلى

باريس لأجدك قد رحلت عنها ، ولأجد نفسى وحيدة منبوذة من الجميع بعد أن تخلى عنى الكونت دى ذ ووقع فى غرام اوليمبيا ، وحاولت اللجوء إلى الدوق ولكنه رفض مساعدتى بعدما لحقه من إهانات فى بيتى .

فازداد مرضى وانصرف عنى الجميع بعد أن ذبل جسدى وهدنى الحزن ولا أحد يسأل عنى اليوم سوى الدائنين ... ترى أين أنت يا ارمان ؟ وهل تأتى لزيارتى؟

٢٠ ديسمبر .

لقد ازداد مرضى كثيراً ، وأرسلت أطلب من الدوق المال ولكن الرد لم يصل بعد .. كم ستتألم عندما ترانى ... إننى اشعر بالبرد الشديد وبمرارة الوحدة وقسوتها ، فلم يعد أحد يزورنى الآن .

٢٥ ديسمبر .

وصلتنى رسالة من أبيك يستفسر عنى ويعبر عن ألمه الشديد لمرضى ، وفى اليوم التالى أرسل إلى أحد أصدقائه ليقدم إلى خمسة آلاف فرنك .. ياله من رجل نبيل .

٨ يناير .

لم أعد أستطيع الكتابة إلا بمشقة بالغة بعد أن حطمنى المرض تماماً ومزق السعال صدرى ، ليت هذا العذاب يمحو ما اقترفته من خطايا وآثام .

١٢ يناير .

رفضت مبلغاً من المال أرسله الكونت دى ذ .. إننى أمقت هذا الرجل الذى كان سبباً فى ابتعادك عنى .. أه .. ما أجمل الأيام التى قضيناها

سوياً ليتنى أستطيع الذهاب الى بيتنافى بوجيفال لأظل فيه حتى أموت .

٢٥ يناير .

إننى أكاد أختنق ، ونسيت طعم النوم تماماً .. ألا تأتى لأراك قبل أن أموت ، لقد جاء الدائنون للحجز على أثاث البيت وتركوا حارساً لحراسة الأثاث .

٣٠ يناير .

أخيراً وصلتنى رسالتك الغالية بعد طول انتظار .. كم أطمع فى أن يمتد أجلى حتى أراك .

٥ فبراير .

جاء الدوق لزيارتى وبدا عليه الحزن والتأثر ولم يقل أى كلمة عتاب .. ليتنى كنت أعلم أننى سأموت بعد هذه الفترة القصيرة فما كنت لأسمح لأى قوة فى العالم بأن تحول بينى وبينك حتى أجدك بجانبى عندما أموت .. ولكنها إرادة الله .

لقد طلبت من جوليا أن تذهب بى إلى مسرح الفودفيل رغم مرضى الشديد فحملتنى كجثة هامدة وأجلستنى فى ذات المقصورة التى التقينا فيها للمرة الاولى وأخذت أحدق فى المقعد الذى اعتدت الجلوس فيه .

وبعدها حملتنى جوليا إلى البيت وأنا فى حالة يرثى لها .

وهذه رسائل جوليا إلى أرمان ديفال :

١٨ فبراير .

لقد ازدادت حالة مرجريت سوءاً منذ أن ذهبت إلى مسرح الفودفيل فلم تعد تستطيع الحركة واحتبس صوتها .. ولا يمكننى أن أصف لك ما تعانيه هذه المسكينة التى تهذى باسمك دائماً ، وعندما فحصها الطبيب أكد أنها لن تعيش طويلاً ، وكف الدوق عن زيارتها وكذلك برودنس بعد أن وجدت أنها لن تحصل على شىء من مرجريت .. وتم توقيع الحجز على كل أثاثها والجميع فى انتظار موتها حتى يبيعوا كل ممتلكاتها .

ولن تتخيل تلك التعاسة التى تعيشها مرجريت التى ما تزال تشعر بما حولها ولا تجف دموعها ، حتى أنك لو رأيت وجهها فلن تعرفها لفرط هزالها وشحوبها .

وهى تستحلفنى ألا أكف عن الكتابة إليك .. ولكنها لم تعد ترانى .. فقد غشيت عينيها سحابة الموت .

١٩ فبراير .

لقد اقتربت النهاية الحزينة يامسيو أرمان ، وطلب الطبيب أن نستدعى القس حتى تعترف بين يديه .. وطلبت منى مرجريت أن ألبسها بعد موتها ثوباً أبيض بسيطاً وقبعة .

ودخل القس وهو متردد بعد أن علم بحقيقة مرجريت .

وبعد أن قضى معها بعض الوقت خرج وقال لى :

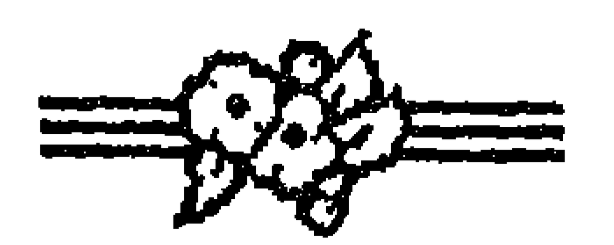
– لقد عاشت غانية وستموت قديسة .

٢٢ فبراير .

ماتت مرجريت بعد أن تعذبت أشد العذاب ونطقت باسمك مرتين أو ثلاث مرات ثم أسلمت الروح

٢٣ فبراير .

شيعت اليوم جنازة مرجريت ولم يتبعها سوى " الكونت دى جـ والدوق " .



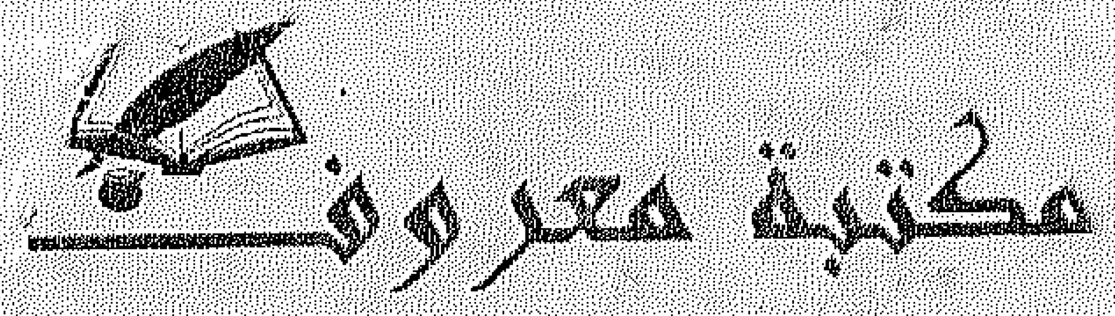
تمت

سلسلة روائع الأدب العالمي

* أحدب نوتردام . (ڤيكتور هوجو)
* عقد الملكة . (الكسندر ديماس)
* سجين زندا . (انطونى هوب)
* أوليڤر تويست . (تشارلز ديكنز)
* الجريمة و العقاب . (دستوفسكي)
* ذهب مع الريح . (مرجريت ميتشيل)
* ديڤد كوبر فيلد . (تشارلز ديكنز)
* يد القاتل . (روبرت بيتمان)
* كل شيء هاديء في الميدان الغربي . (اريك ماريا ريمارك)
* حبل المشنقة . (رفائيل ساباتينى)
* تراس بولبا . (نيقولاي جوجول)
* مرتفعات وذرنج . (شارلوت برونتي)
* بائعة الخبز . (كزافييه دي مونتبان)
* نشيد الثورة . (كلود هوتون)
* محاكم التفتيش . (رفائيل ساباتيني)
* الرجل الضاحك . (ڤيكتور هوجو)
* كوخ العم توم . (هاريت بيتشر
* ماري أنطوانيت . (ليون دوديه)
* الكونت دي مونت كريستو . (إسكندر ديماس
* قصة مدينتين . (تشارلز ديكنز)

المملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

٦٠٣



الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٢٠٠٨٩
القاهرة : ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٣٧٠ الإسكندرية